

كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمد عوض



19.5.2016

أبي كلثوم
التي لا يعرفها أحد

الطبعة الثالثة

٧١
٢١٢٢

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

يصدر عن
مؤسسة اخبار اليوم



أهم كلمات
بنتي لا يعرفها أحد

بقلم
محمود عوض

مقدمة

صديق لا أعرفه

.. كم الساعة الآن ؟!

سؤال يقفز الى ذهني اوتوماتيكيا كلما فكرت في ام كلثوم ، عندما استمع اليها تغني ، تتكلم ، تناقش، بل - حتى - وهي تستمع .. اكتشفت .. ان الوقت قد خدعني . عندما امد يدي الى شريط من اغاني ام كلثوم .. اى شريط .. فاننى اديره لكى استمع منه الى خمس دقائق ، عشر دقائق ، ربع ساعة ، ولكننى اكتشف فجأة ان الوقت قد جرى منى دون ان ادري . اكتشف سؤالا يقفز الى ذهني فجأة : كم الساعة الآن ؟! .. الساعة السابعة ، الثامنة التاسعة، العاشرة مساء . اربع ساعات قضيتها وانا استمع .. الى اغنية لم اسمعها منذ مدة طويلة - منذ اربع ساعات - تصور ! .. وبينما استمع الى ام كلثوم فريما - ربما - انتبه الى الوقت من جديد قرب منتصف الليل . ايه ؟! كم الساعة ؟! منتصف الليل ؟! لا .. لا هذا كثير ! ..

ولكن لا يوجد كثير عندما تستمع الى أم كلثوم ، لم
يعد هناك كثير من التصفيق .. كثير من الانفعال ..
كثير من الوقت .. تحول الكثير الى شيء عادي .
روتين . عادة . بل اننى أعرف صديقا يحدث له
أكثر من هذا عندما يستمع الى أم كلثوم . اذا أعطيت
لصديقى هذا كرسيًا وطلبت منه أن يجلس عليه ..
فانه سوف يجلس .. ساعة ، يوما ، أسبوعا
لو لزم الأمر . صديقى لن يطلب منك شيئا أكثر من
الطعام و .. اسطوانات أم كلثوم !!
اننى لا أعرف صديقى هذا . أعرف فقط أن اسمه
هو (م) . هذا اسمه - ميم - .. نقطة . لاننى
لا أستطيع كتابة أسماء مليون شخص ، مائة مليون
شخص، يفعلون ما يفعله صديقى هذا عندما يستمعون
الى أم كلثوم ..
هؤلاء .. هم جمهور أم كلثوم ..

ومنذ وقت طويل مضى ، اعتادت أم كلثوم على هذا
الحب من جمهورها، انها تستمع منهم الى التصفيق .
ثم ماذا بعد ذلك ؟ التقدير . ثم ماذا ؟ الشهرة
الاعجاب ، الحب - نعم - ثم ماذا أخيرا ؟ التصفيق
من جديد .. هذا كل شيء ..
ومعنى ذلك أننا لم نعرف أكثر من ١٥٪ من أم كلثوم،
لم نشاهدها سوى كل ليلة خميس تغنى فيها ، هذا
كل ما نعرفه . أما حياة أم كلثوم - شخصية
أم كلثوم - ابتداء من الجمعة الى الأربعاء ، من
الصباح الى المساء ، من الفجر الى العشاء .. فلم
نعرف عنها الكثير بعد . مازالت شخصية أم كلثوم
تحتاج الى اكتشاف .. الى تحليل .. الى اعادة نظر ..
اكتشاف آخر : ان أم كلثوم هى السبب فى هذا
كله ! ..

لقد اقامت أم كلثوم سورا صينيا حول شخصيتها،
سورا عاليا .. سورا يحجب ما فى داخله . خلف
هذا السور تحتفظ أم كلثوم بحياتها الخاصة ،
بشخصيتها الخاصة ، بأفكارها الخاصة . ان أم كلثوم
قد اتخذت قرارا اختياريا سابقا : ان تعيش حياتها
بين قوسين ..

وشينًا فسينًا بدأت أحاول اقناع أم كلثوم أن تفتح القوسين ، أن تفتح باب السور حتى يعرف الناس كل حياتها ، كل شخصيتها ، كل تفكيرها • شهر وشهر • • سنة • ثم بدأت أم كلثوم تتكلم ، بدأت تتكلم - بعد سنة - لكي تروى لى أشياء كثيرة جدا • • أشياء أستطيع تلخيصها تحت عنوان واحد : لاشيء! • • ولا حرف ، ولا كلمة ، ولا - حتى - وعد بكلمة • • ولكننى حاولت من جديد • • مرة • • ومرة • • ومرة • • ثم - أخيرا - بدأت أم كلثوم تتكلم • تتكلم فعلا • •

فى هذه المرة كان حديثى مع أم كلثوم يبدأ على أساس أنه سيستغرق نصف ساعة - بالكثير ساعة - ولكن • • ها هو السؤال من جديد يقفز الى ذهنى تلقائيا : كم الساعة الآن ؟ لحظتها اكتشفت أن الساعة قد توقفت منذ ساعة ، ساعتين ، ثلاث ، أربع - أحيانا خمس - ساعات ! • •

وفى كل مرة كنت أعود الى الاوراق التى كتبته من حياة أم كلثوم • إعادة نظر • ماذا فى يدي ؟ أوراق - نعم - ولكن • • ياه ! كل هذه الصفحات • • كل هذه الاسرار عن شخصية أم كلثوم • • ؟

ان أم كلثوم بدأت حياتها من لا شيء • أقل من لا شيء • • من الصفر • • من تحت الصفر • • ولكنها استطاعت أن تصل الى قمة لم يصل اليها أحد ، ثم استمرت فى وقت لا يستمر فيه أحد • • وفيما بين النقطتين - القاع والقمة - واجهت أم كلثوم مواقف كثيرة : الفقر ، الجوع ، الحرمان ، الشقاء ، اليأس ، الهزيمة ، السقوط ، الفشل ، الألم ، العذاب - كثيرا من العذاب، ثم - بعد وقت طويل - النجاح ، مواقف لا يعرفها أحد • •

فيما بين القاع والقمة كان فن أم كلثوم هو - فى الواقع - الطريقة التى عاشت بها ، حياتها نفسها • • هى الفن • • فن أم كلثوم هو حياتها ، وحياتها هى شخصيتها ، وشخصيتها هى - من جديد - المفتاح الرئيسى - لفهم أم كلثوم • ان أم كلثوم هنا هى

نموذج ، هي رمز ، رمز لشخصية ، حياة ، مجتمع ،
لظروف هذا المجتمع .

و

الصفحات القادمة هي حصيلة هذا كله . . .
أفكار أم كلثوم . . . وأفكار المجتمع عن أم كلثوم .
نصفها مذكرات منها ، ونصفها مذكرات عنها . حل
وسط . . .

في هذه النقطة أريد أن أتبه الى شيء هام : اننى
أعشق صوت أم كلثوم ، ولكننى لأعبده . فى الواقع
اننى أنتمى الى جيل جديد لا « يعبد » أحدا . جيل
يحب ، يعجب ، يعشق . . . ولكنه لا يفعل - حتى
هذا - إلا بعد أن يفهم . . . ويناقش . جيل يرفض
استثناء أحد من المناقشة . . . والمراجعة .

وأم كلثوم نفسها متفقة معى فى هذه النقطة .
بل انه فى مكانين على الاقل من هذا الكتاب حدث
خلاف فى الراى بين أم كلثوم وبينى . مازال الخلاف
قائما .

ولكننى أو من باننى اذا كنت معجبا حقا بأحد . . .
فيجب أن أعبر عن هذا الإعجاب وأنا واقف على
قدمى . . .

ان أم كلثوم نجحت فى أشياء كثيرة . . . سوف
تسجل الصفحات القادمة جزءا منها . . .

وفشلت أم كلثوم فى أشياء قليلة ، سوف تسجل
الصفحات القادمة معظمها . . .

ولكن . . . يبقى فى النهاية شيء واحد . لقد فشلت
أم كلثوم فى شيء أكبر من هذا كله : فشلت فى أن
تكون امرأة عادية ! . . .

بهذا السطر أعلن انسحابى مؤقتا . . . حتى أجلس
فى مقاعد القارئ لصفحات . . . من مذكرات أم كلثوم
. . . مذكرات منها وعن مذكرات الى صديقى المجهول
« م » . . . ميم . . . نقطة . مليون مستمع - مائة
مليون مستمع - يعشقون أم كلثوم ! . . .

محمود عوض



من مذكرات أم كلثوم

سنوات السير على الأقدام

«٠٠ كانت اول حفلة غنيت فيها مزدحمة جدا
بالناس . لقد حضرها خمسة عشر شخصا» !!
أم كلثوم

كانت فاطمة تقيم في بيت ريفي صغير من الطوب النيء •
البيت له عدة أبواب تطل على حوش ، وراء كل باب
حجرة صغيرة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران تقيم فيها أسرة
مكونة من زوج وزوجته وعدة أطفال ..

وفي إحدى هذه الحجرات رقدت فاطمة المليجي تتلوى من الألم
في انتظار الملود ..

ومع الفجر ، أطلت المولودة برأسها ، وحملت الداية القروية
المولودة وخرجت بها الى المندرة وهي تصرخ : مبروك فاطمة ولدت!
ولم تقل الداية أن فاطمة أنجبت طفلة .. فقد خشيت أن يصطدم
الأب بالخبر ! ..

وكان الأب يجلس على الأرض يقرأ كتابا عن أولاد النبي ..
وكانت عيناه في تلك اللحظة على اسم إحدى بنات النبي ، وقبل
أن يسمع أنه رزق بمولود أو مولودة صاح : نسميها باسم بنت
النبي ، نسميها أم كلثوم ! ..

ولم يكن اسم « أم كلثوم » معروفا ولا متداولاً في قرية (طماي)
ولا القرى المجاورة ، ولهذا بدا اسماً غريباً على أسماعهم •

ولم تعارض فاطمة في اختيار هذا الاسم ، ولكن الأهل
والأقارب اعترضوا على الاسم الغريب ، وراحوا يحاولون اقناع
الشيخ إبراهيم باختيار اسم خفيف مثل خضرة وبدوية وست الدار ! •

ورفض الشيخ هذه الاسماء ، لقد أصر على أن يسمى المولودة
باسم بنت النبي : أم كلثوم ! ..

ويظهر أن أمي كانت تشارك أهل القرية سرا في اعتراضهم
على اسم « أم كلثوم » .. لأنني وعيت عليها وهي تناديني باسم
« سومة » ، وكان والدي أيامها أمام مسجد في قرية « طماي »

تعلت من أم التواضع
 وتعلت من الصدق
 وتعلت من الإجماع بالله
 الحكيم

صفحة من مذكرات أم كلثوم بخط يدها .

الزهامية « من أعمال مركز السنبلوين بمحافظة الدقهلية ، وكان مرتبه من الامامة لا يكفي للمصرف على أسرته ، ولهذا كان يقرأ القرآن في الموالد ، ان مجموع دخله من عمله الاصلى وعمله الاضافى لم يكن يتجاوز عشرين قرشا ٠٠ !

وكان هذا المبلغ هو الذى يغطى كل شهر نفقات أسرة مكونة من أمى وأبى وأخى خالد ٠٠ وأنا ٠٠!

ولا أعرف كيف كنا نعيش بهذا المبلغ البسيط ٠٠ فان صورة معيشتنا المتواضعة لا تعيش فى ذاكرتى . ان أول صورة أنكرها اليوم هى صورة « ستى نصره » أم أبى . كانت نحيفة سمراء ، مسممة التقاطيع ، اننى مازلت أنكرها وقد ارتدت جلبابا أسود وطرحة سوداء وجلست على الارض تفصل لى عروسة من القماش وأنا جالسة مسحورة ! أنكر أنها لما انتهت من تفصيل العروسة وملأتها بالقطن ، رسمت عليها العينين والحاجبين والشفقتين ثم قطعت خصلة من شعرها ، ولصقتها على رأس العروسة ، وأنا أرقب عملية الخلق فى دهشة واعجاب ٠٠!

ولاحظت أن أخى كان يحمل كتبا وكراسات كل صباح ويذهب الى الكتاب المواجه لبيتنا ، فذهبت أبكى لأمى وأطالبها بادخالى الكتاب ٠٠!



الغاة القروية أم كلثوم ابراهيم في سنواتها الغنائية المبكرة - صورة التقطت لها سنة ١٩٢٤ ولا توجد نسخة منها عند أم كلثوم



الشيخ ابراهيم .. والد ام كلثوم

وقالت أمى أنت صغيرة السن !
ولكنى رحمت أذرف الدموع والرح على أبى أن يدخلنى الكتاب !
وتعب أبى من الحاحى فأدخلنى « كتاب » سيدنا الشيخ
عبد العزيز !
وكننت أذهب كل صباح الى الكتاب وأجلس فى الفصل دون أن
أتعلم شيئاً !

وكننت سعيدة بدخولى الكتاب . فقد أصبحت لى كل مظاهر
أخى الكبير ، ولم أتنبه الى انه كان يتعلم . . بينما كنت انا أتفرج !
وبعد بضعة أشهر سمعت أبى يهمس لأمى عقب صلاة الفجر مرة !
أنا ما أقدرش أذفع مصاريف أم كلثوم . . ما عنديش غير قرش
واحد أذفعه للولد . .

وراحت أمى تلح على أبى وترجوه أن يبحث عن أى طريقة يدبر
بها قرشا آخر حتى لا ينكسر قلبى ، لقد كانت مصاريف الكتاب
قرشا واحدا ، أذفعه كل أسبوع لسيدنا فقى الكتاب !

واستطاع أبى أن يدبر هذا القرش ، ولم أخرج من الكتاب .
وتحولت مع الايام من متفرجة الى تلميذة بعد أن رأيت زملائى
فى الفصل يكتبون ويقرأون ، وبدأت أتتبع دروس الشيخ عبد
العزيز ، بعد أن كنت أتتبع حركاته ونظراته ! . .

وفجأة . . طارت سعادتى ! وكرهت التعليم والشيخ عبدالعزيز
فقد حدث أن أساءت لى زميلتى وجارتى على « التخته »
التلميذة عزيزة . . فقررت أن انتقم منها .

وذهبت قبل موعد بدء دخول التلاميذ الى الكتاب ، وفتحت
درج عزيزة وكسرت لوح الاردواز الذى تكتب عليه .

وفجأة دخل مفتش وزارة المعارف ! فقفزت من مقعدى وضربت
له السلام !

وسأل المفتش عن الشيخ عبد العزيز ، فقلت له انه لم يحضر
بعد . .

وحضر الشيخ عبد العزيز بعد فترة من انتظار المفتش الذى
كان يتميز غيظا من تأخر الشيخ ! . .

ولما جاء الشيخ قال له المفتش : ما شاء الله! البنت الصغيرة
تحضر فى الميعاد .. وحضرتك تتأخر نصف ساعة !

وضاق الشيخ عبد العزيز بهذا اللوم ، وحملنى مسئوليته ،
وراح يضطهدنى ، فى كل مناسبة كان يسأل السؤال ثم يتجه
نحوى دائماً ويقول ساخرا : قومى جاوبى يا بنت يا فالحة ! ..
وكان زملائى وزميلاتى يفرقون فى الضحك كلما سمعوا كلمة
« فالحة » ! ..

وضاقت الدنيا فى وجهى ! وأصبحت أكره الذهاب الى الكتاب
حتى لا أقع فى قبضة الشيخ عبد العزيز وأستلته ! ..
وفى يوم من الايام فتحت لى السماء أبوابها .
لقد مات الشيخ عبد العزيز فقيه الكتاب !

ولم أصدق النبأ .. تصورت اننى أحلم ! ذهبت الى الكتاب
فقالوا لى ان سيدنا قد مات فلم أصدق ، ذهبت الى بيته ، رأيت
دموع زوجته وأمه وابنته فلم أصدق ! .. ولما سارت جنازته وراء
نشه حتى المدافن ، انتظرت حتى أخرجوه من النعش وأدخلوه
المقبرة وواروه التراب ! ..

لقد كنت أتصور أن الشيخ عبد العزيز من الشخصيات التى
لا يمكن أن تموت ! كنت أتصور أنه سيظل برأسه فجأة من القبر
ويقول لى :

قومى جاوبى يا بنت « يا فالحة » ! ..

ولكن سيدنا الشيخ لم يطل برأسه من تحت التراب !

وتوهمت أنهم دفنوا التعليم فى القبر مع الشيخ عبد العزيز !
تصورت أن عصر الذهاب الى الكتاب قد انتهى ولن يعود ،
تصورت أنه مخترع فكرة التعليم ..

ولكن سعادتى طارت منى مرة أخرى !

لقد فوجئت بأن سيدنا الشيخ عبد العزيز لم يكن الفقيه
الوحيد فى الدنيا ! فوجئت بأن التعليم لم يدفن معه فى القبر كما
تصورت !

فوجئت بأنه لا يزال هناك « اسياد » على قيد الحياة يعلمون
فى الكتاتيب ! ..

لقد أغلق كتاب سيدنا الشيخ عبد العزيز أبوإبه ، وبقيت
كتاتيب أخرى مفتوحة الابواب !!

وأصدر والدى امره الذى لا يقبل مناقشة بأن انتقل مع أخى
خالد الى كتاب آخر يبعد عن بلدتنا حوالى ثلاثة كيلومترات ..
انه كتاب عزبة « الحوال » بالسنبلاوين ..

وكنا نمشى كل صباح ثلاثة كيلومترات الى الكتاب ، ثم نمشى
ثلاثة كيلومترات أخرى الى قريتنا ! اى اننى كنت أقطع كل يوم
سته كيلومترات مشيا على الاقدام ! ولكنى فى الواقع كنت أقطع
عادة سبعة او ثمانية كيلومترات بسبب حبى للمغالطة !

فقد انضم لنا صابر ابن زوج أختى ، وعمرو وهو من قرية
مجاورة ، وكنا نحن الاربعة نلعب لعبة كرسى السلطان اثناء
عودتنا من الكتاب . كان كل ثلاثة منا يحملون الرابع من عمود
تليفون .. الى عمود تليفون !

وكنا نختلف عشرات المرات ! كان كل منا يدعى أن هذا دوره
فى الجلوس على كرسى السلطان !! وكنت أكثرهم مغالطة ..
وأصرارا على ائى صاحبة الدور! ولذلك كنا نرجع عشرات المرات
الى اعمدة التليفون التى مررنا بها ، لنبدأ الرحلة من جديد ،
ونرضى الطفل الذى ادعى دوره فى الجلوس على كرسى السلطان!
وبدأت أحب الكتاب من جديد ، لأننى كنت أحب لعبة كرسى
السلطان !!

وبدأت مقاومتى للتعليم تتكسر ، خصوصا أن فقيه الكتاب
الشيخ ابراهيم وأولاده لم يضطهدونى كما كان يفعل سيدنا الشيخ
عبد العزيز ! لم يقل لى « الاسياد » الجدد قومى يا بنت
يافالحة ! لم يسخر منى سيدنا ! لم يركز أسئلته فى الفصل على
أم كلثوم ، الا اذا رفعت أصبعها وأبدت استعدادها للاجابه !
وبدأت أحب أساتذتى .. وحبى لهم جعلنى أحب التعليم ،
وأحب الذهاب الى الكتاب !!

وكانت حياة طفولتى سعيدة مليئة بالضحكات - مع الفقر -
الى أن صحوت فى فجر أحد الايام على صوت همسات بين أمى
وأبى !!

سمعت أمى تسأل أبى عن سر قلقه طوال الليل ! وسمعت أبى
يقول لها : العيد جاى !! ومش قادر أجيب للاولاد جلايب
جديدة فى العيد !!

وأحسست بالآلم أُمى وأبى !!

وعندما طلع النهار ذهبت الى أُمى وقلت لها : أنا مش عاوزة
جلابية على العيد .. جلابيتى القديمة حلوة قوى ونفسى البسها
فى العيد !!

وبكت أُمى .. وراحت تمطرنى بقبلاتها .. وشعرت وأنا محاطة
بذراعيها ، اننى ارتدى أجمل فستان فى الدنيا !!

★ ★ ★

ومن الصور التى تعيش فى ذاكرتى صورة أبى وهو جالس على
الارض يعلم أخى قصة مولد النبى والقصائد والتواشيح ليساعده
فى عمله الأضافى الذى يقوم به ..

وأذكر اننى لم اكن اهتم بالجهود التى يبذلها أبى لتعليم أخى
وتحفيظه هذه القصائد ، كنت فى شغل عنها باللعب مع أجمل
فتاة فى الدنيا : عروسة جدتى !!

ولكن يظهر أن التكرار بدأ يتحكم فى ذاكرتى ، لأننى بدأت
وعمرى خمس سنوات أقلد أبى من وراء ظهره .. أقلده وهو يعلم
أخى خالد !!

وفى أحد الايام ضبطنى أبى ! ووقف وراء الباب يرقبنى وأنا
أقلده ! فلما انتهيت من تقليده قال لى : تعالى معايا الى حفلة
شيخ البلد !!

قلت له : لا .. موش عاوزة أروح !!
فراح أبى يغرينى بالكراملة التى أحبها ، فعاندت ورفضت !
ولكن لما بدأ يلوح لى بصحن المهلبية الذى أعشقه ذاب عنادى
ووافقته على أن اذهب معه الى الحفلة !!

وكانت الحفلة مزدحمة بالناس .. فقد بلغ عدد الذين حضروها
حوالى خمسة عشر شخصا .. وكان هذا العدد بالنسبة لى هو
الزحام الضخم !!

وطلب منى أبى أن اجلس بجانبه على الكنية الخشبية وأغنى
كما هى عادة المغنية فى ذلك الوقت ! ولكنى رفضت الجلوس ،
وأصررت على الوقوف فوق الكنية .. وبدأت أغنى !!

ولم يساورنى الخوف ! لم اضطرب أمام الجماهير ! لقد
وقفت وغنيت بلا اهتمام وكأنى أغنى لعروستى الصغيرة !
اننى أخاف اليوم من الجمهور الذى يعرفنى وأعرفه
وأحسب له ألف حساب وأنا أواجهه .. لكن لما كان عمري خمس
سنوات كنت أكثر ثقة بنفسى من اليوم ! ويظهر أن التجربة هى
التي تعلمنا الخوف !

وبعد خمس دقائق انتهيت من غنائى ، وسمعت لأول مرة فى
حياتى تصفيق الناس ! ولكن هذا التصفيق لم يهزنى ! فقد
التفت الى أبى وقلت له فى لهفة : فين بقى الللى قلت لى عليه ؟
فين « طبق المهلبية » !

★ ★ ★

وكان بين الذين حضروا هذه الحفلة بعض أهالى مركز
السنبلاوين الذين طلبوا من أبى احضارى معه الى حفلتهم المقبلة .
وزهبنا الى السنبلاوين مشيا على الاقدام .. مشينا ثلاثة
كيلومترات . وتناوب أفراد التخت حملى على أكتافهم كلما شكوت
من التعب !

وقادنا صاحب الحفلة الى منزله الصغير .
لم أدخل المنزل وحدى !

كنت أحتضن قطتى الصغيرة التى كانت تؤنسنى ، وتبدد
وحدتى كانت هذه القطة صديقتى ! كنت أحدثها عن متاعبى
الصغيرة وأحلامى الكبيرة .. وكانت تنصت الى باهتمام !
وفجأة تركتني القطة ودخلت تحت كنبه من الخشب ! فزحفت
وراءها وجلست معها تحت الكنبه ! ويظهر أنى جلست تحت
الكنبه مدة طويلة .. فقد راح والدى يبحث عنى دون جدوى !
ولما خرجت القطة من تحت الكنبه ، خرجت وراءها ! وتلقفنى
والدى واجلسنى بجانبه وطلب منى أن أغنى ! ورفضت للمرة
الثانية أن أغنى جالسة .. أصررت على الوقوف !
وكان جمهور هذه الليلة أكبر من جمهور الليلة السابقة ..
كان عددهم عشرين شخصا ! ولكنى لم أشعر بهذا الجمهور الكبير
ولم أهتم به ! كنت أغنى وأنا أحلم .. كنت أحلم بطبق المهلبية
الذى ينتظرنى !
وتوالى الحفلات ..

ولم أسمع من أبى وأبى فى يوم من الايام شكوى بصوت مسموع من الفقر والحرمان الذى نعيش فيه ، كانا يحاولان دائما اخفاء الضيق عنا .. وكانا لايكشفان عن هذا الضيق الا بهمسات بعد صلاة الفجر ، عندما يتصوران اننى وأخى نائمان لانسمع شيئاً !

ولكن هذه الهمسات الحزينة عاشت معى ! كانت تدوى فى اذنى كنت أتصور أن أزمة أمى وأبى فوق قدرتى ! كنت أتصور أن كل ما أستطيع أن أقدمه لأمى ، هو أن أتطلع الى السماء وأقول: يا رب ساعد أمى ! ..

ولم يخطر ببالى اننى سأستطيع فى يوم من الايام أن اكسب قرشاً أساهم به فى تخفيف أزمات أمى ! ..
ولكن فى ذات ليلة وجدت فى يدي كنزاً ! ..

★ ★ ★

لقد أعطانى صاحب الحفلة الذى غنيت عنده قطعة فضية من ذات العشرة القروش ! وأطبقت أصابعى الصغيرة على القروش العشرة فى حرص ، وكأننى أمسك الدنيا كلها بيدي ! ..
عشرة قروش ! ..

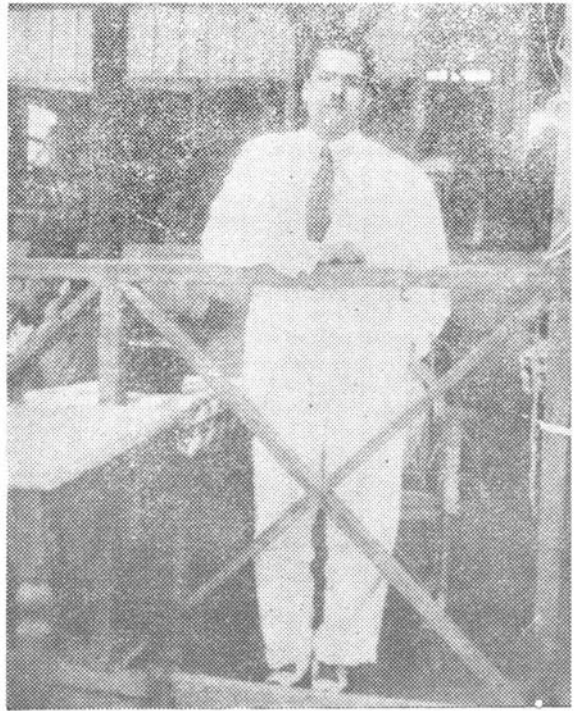
لقد بدت لى فى تلك اللحظة أنها أكثر من مال قارون !
وتصورت أن العشرة القروش التى أقبض عليها بأصابعى ، ستحل كل أزماتنا المالية ! ..

لقد شاءت الظروف بعد ذلك أن أمسك بأصابعى ألوف الجنيهات .. ولكن هذه الألوف لم تهزنى ولم تبهرنى ، كما هزنتى وبهرنتى العشرة القروش ..

وحملنى احد المشايخ على كتفه ليعود بى الى القرية !
واستقرقت فى نوم لذيذ مريح وأنا قابضة بكل قوتى على الثروة الضخمة ! ولما وصلت الى أمى ، فتحت أصابعى وأعطيتها مال قارون! وأحسست بذراعيها وهى تضمنى فى حنان .. واستقررت فى نوم عميق لذيذ ..

لم يعد أبى يقصر جهوده على تدريب أخى خالد على الغناء ..
بدأ يدربنى أنا أيضاً !

وذاع صيت الطفلة الصغيرة فى القرى المجاورة ! وخرج هذا الصيت وراء الحدود : حدود القرى المجاورة ! وطالت

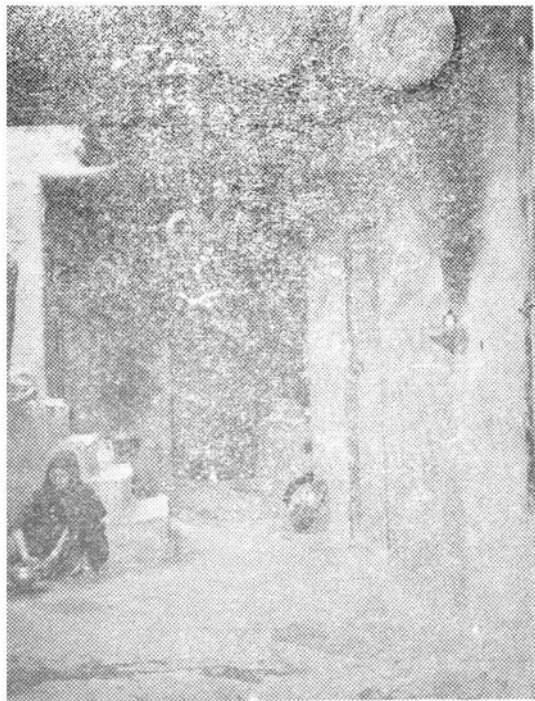


خالد.. شقيق ام كلثوم
في سنوات شبابه وهو
يستجم في رأس البر
ان وفاة خالد سببت
لام كلثوم الحى أزمة
نفسية عرفتھا في حياتھا

المسافات التي كان يجب أن نقطعها مشيا على الاقدام .. وارتفع
دخلنا حتى أصبح في قدرتنا أن نركب قطار السكة الحديد ..
ولكن في الدرجة الثالثة !

ومازلت اذكر السعادة التي شعرت بها وأنا أركب القطار لأول
مرة في حياتي . كان القطار المسافر من محطة السنبلوين الى
محطة أبو الشقوق . ودخلت عربة القطار ، ووقفت على المقعد
أطل من النافذة ، ووالدى يمسك بذيل ثوبى ! ثم فوجئت بمنظر
غريب أثناء سير القطار ! لقد بدأت اشجار النخيل وأعمدة
التلغراف تجرى أمامى ! لقد هزنى هذا المشهد العجيب الى درجة
أنه لما وقف القطار في محطة « أبو الشقوق » ، أمسكت بالنافذة
ورفضت النزول !

ووعدنى والذى انى سأعود الى ركوب القطار غدا .. ولكنى
رفضت أن اصدقته ! وهنا أقسم لى بالله .. فصدمته ، وهزلت
من القطار !



في هذا البيت ولدت
أم كلثوم وعاشت
طفولتها ، ولم يدرى
أحد أن هذه الطفلة
ستربح يوماً ما على
قمة المجد الفني .

وذهبنا الى الحفلة .. وكانت مقصورة على القادرين ، فان
ثمن التذكرة كان قرشاً !

وافتححت الحفلة بخناقات بين الجمهور استغرقت ساعة كاملة
وبدأت أغنى التواشيح .. فعاد الخناق ، واستمر ساعة أخرى
ودامت الحفلة أربع ساعات مضها ثلاث ساعات ونصف ساعة
خناقات ومعارك بين المتفرجين واستغرق الغناء نصف ساعة فقط !
وكانت الخناقات والمعارك من لوازم الأفراح في الريف .. ولهذا
كان محصولنا الغنائي لا يتجاوز عادة أكثر من نصف ساعة ..

وفي بلدة « ميت رومي » في البحر الصغير بشمال الدلتا
وقعت لنا مفاجأة لم نحسب حسابها !

بدأنا الغناء ، فلم يتخايق أحد ! تركنا الجمهور نغنى بلامقاطعة
ولا معارك ! وغنينا كل ما عندنا في نصف ساعة .. والمفروض
أن تستمر الحفلة الى الفجر ! وتصور أباي أن ساعته قد توقفت

٠٠ ثم رأى العقرب يتحرك ! وحرار أبى وأفراد التخت كيف يواجهون هذه المفاجأة ! وقرر أبى أن نعبد على المستمعين نفس التواشيح التى سمعوها منذ نصف ساعة ! ولم يحتج الجمهور على الاعادة والتكرار .

ورحنا نعبد نفس التواشيح للمرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة !

وبعدها بدأ والدى يستعد للمفاجآت ٠٠ بدأ يستعد للحفلات التى لا يتشارك فيها الجمهور ولا يتضارب ! وبدأ يمرننا على حفظ أغانى جديدة زيادة على الاغانى التى كنا نكررها فى كل حفلة ولا تستغرق فى مجموعها أكثر من نصف ساعة !

وفى ذات يوم ذهبنا الى الغناء فى قرية مجاورة للقريشية بالقرب من مدينة طنطا .

وقبل بدء الحفلة قادنا صاحبها الى السرادق الذى سنغنى فيه ٠٠ وأشار الى فانوس ، وقال لنا : لما ينكسر الفانوس ده ٠٠ ادخلوا الحجرة دى !

ولما ظهرت على وجه أبى علامات الدهشة قال الرجل : بقى انا لاباجوز ابنى ولا بنتى ! جايينكم علشان أهل البلد المجاورة يحضروا نقوم نضربهم !

ولما بدأت أغنى ، كنت أغنى للفانوس ! كنت أقول للفانوس : سبجان من أرسله رحمة لكل من يسمع ، أو يبصر ! وكنت أركز عينى وعقلى وكل حواسى فى هذا الفانوس ٠٠ حتى أهرب عندما ينكسر !

وفعلا انكسر الفانوس !

وبدأ الضرب بالعصى والنباييت !

وبعد انتهاء الخناقة خرجنا من المخبأ ٠٠ وفوجئنا بأن أهل القرية المجاورة هم الذين ضربوا الذين أعدوا الكمين لضربهم !

★ ★ ★

ولم تكن متاعينا مقصورة على المارك والخرنقات ٠٠ كانت بعض متاعينا بسبب بساطة بعض أهل الريف .

وحدث أن اتفق معنا اهالى قرية مجاورة لمركز نبروه على احياء فرح فيها ٠٠ ومشينا عدة كيلومترات من قريتنا الى مركز

السنبلاوين ، ثم ركبنا القطار الى المنصورة ، ثم ركبنا قاريا صغيرة عبر بنا النيل الى طلخا ، ثم ركبنا قطار الدلتا الى نبروه .
• ولم نجد أصحاب الفرع فى انتظارنا كما هى العادة .

وبرر والدى هذا التصرف بأنه لا بد أن أهل الفرع انشغلوا فى اعداد الفرع .

واستأجرنا مطايا « حميرا » ، وذهبتنا بها الى القرية التى سيقام فيها الفرع ، وسألنا عن بيت صاحب الفرع فقادونا اليه .
• ودار الحديث التالى بين والدى وصاحب الفرع :
والدى : انتم نسيتمونا والا ايه ؟

وسكت صاحب الفرع .
والدى : يعنى لم ترسلوا « ركوية » الى المحطة !
• وسكت صاحب الفرع ، وظهرت على وجهه علامات الدهشة .
والدى : موش النهاردة الخميس .. ميعاد الفرع ؟
فأجاب صاحب الفرع ببساطة :

– ما احنا أجلناه !

والدى : أجلتم ايه ؟

– أجلنا الفرع !

والدى : طيب ما أرسلتش لنا خبر ليه ؟

وعادت الدهشة الى وجه صاحب الفرع وقال : كل البلد عارفه ان الفرع تأجل ! ولد يا خليل ؟ ولد يا حسين ؟ ولد يا سيد ؟
موش احنا أجلنا الفرع ؟

• وهز القرويون خليل وحسين وسيد رؤوسهم بالموافقة .
وقال صاحب الفرع ببساطة : شايفين ! كل الدنيا عارفه اننا أجلنا الفرع !

ورجعنا كما حضرنا ! عدنا الى محطة نبروه ثم ركبنا قطار الدلتا الى طلخا ، ثم عبرنا النيل بالقارب الى المنصورة ، ثم ركبنا القطار الى السنبلاوين ، ثم مشينا على الاقدام الى قريتنا الصغيرة !

وكان والدى يتتبع باهتمام تصرفات كبار المطربين والمطربات حتى اقلدهم وأوهم الناس أنني مطربة كبيرة !

واكتشف أبى ذات يوم اكتشافا هاما ! اكتشف أن الشروط
الغنائية تنص على أن المطرب « الصييت » الشيخ حسن جابر
يشرب الكازوزة فى الحفلات ! فأضاف الى عقودنا بندا جديدا
يتعهد صاحب الحفلة بتنفيذه ..

وكان هذا البند هو أن يتعهد الطرف الاول بأن يقدم للطرف
الثانى « أم كلثوم » زجاجة كازوزة !
ومافئش حد أحسن من حد !

وكنت سعيدة بحياتى ! سعيدة بالحمار الذى أركبه ، وطبق
المهلبية الذى ألتهمة .. وزجاجة الكازوزة التى أشربها !

وبدأت شهرتنا تملأ الآفاق ! وكانت الآفاق هى القرى المجاورة
لمركز السنبلوين ! ووصل أجرى مع الفرقة التى تتألف من خمسة
من المشايخ الى مائة قرش عن كل حفلة نقيمها !

وبدأت شهرتنا تزحف !

وعندما ارتفع أجر الفرقة من مائة قرش الى مائة وخمسين
قرشا أصبحنا أثرياء ..

ورأى أبى أن نقلد الأثرياء ! انهم يلتقون لأولادهم صورا
فوتوغرافية .. فلماذا لا نذهب نحن أيضا الى المصوراتى ؟

وذهبنا الى مصوراتى فى مدينة الزقازيق . وأصبت أنا وأخى
بنوبة من الضحك أمام المصوراتى ! فقد كان المصوراتى يقف وراء
الكاميرا تحت الملاءة السوداء وكان منظرا غريبا جعلنا نغرق فى
الضحك !

وراح المصوراتى يرجو أبى أن يمنعنى أنا وأخى من الاستمرار
فى الضحك حتى يلتقط الصورة .. فان أصول التصوير يومها
كانت تقضى بالآ يضحك أبدا صاحب الصورة ! يجب أن يقف
جامدا كالتمثال حتى يلتقط المصور صورته ! وبعد محاولات
متكررة تحولنا الى تماثيل ! والتقطت أول صورة لنا !

وكان أبى غير مستريح لفكرة اشتغال ابنته بالفناء . كان
لا يمانع فى أن يغنى ولده .. أما أن تغنى ابنته فلا !

وكان هذا هو السر فى العقال الذى وضعته على رأسى عدة
سنوات ، كان والدى يريد أن ينسى أن ابنته هى التى تغنى ، كان
يريد أن يوهم نفسه أن أم كلثوم ولد لا بنت !

« ومسحت » بقدمى الصغيرتين القطر المصرى قرية قرية ..
قبل أن أضع قدمى فى القاهرة :

و شاء حظى أن أترك فى كل قرية عددا من المعجبين بصوت
الطفلة الصغيرة !

ورأى والدى أن يستغل نجاحى وشهرتى .. فأصر على فرض
شرط اضافى على أصحاب الحفلات فى القرى المجاورة !

وكان الشرط الاضافى هو أن يتعهد صاحب الحفلة بأن يقدم لنا
حميرا تحملنا من قريتنا الى مكان الحفلة ذهابا وايابا !

وكان « الطرف الاول » ينفذ نصف الاتفاق .. ويهرب من
تنفيذ النصف الثانى !

كان أصحاب الحفلات يرسلون لنا الحمير لتحملنا الى مكان
الحفلة .. فاذا انتهت الحفلة اختفت الحمير ! وهكذا كنا نركب
« ذهابا » ونمشى « ايابا » !

ولم تكن المسافات التى نقطعها مشيا على الاقدام مسافات
بسيطة .. كانت عادة تتراوح بين كيلو مترين وخمسة كيلو مترات .

ولم يكن السير على الاقدام أصعب متاعبنا !

كان الانتظار على أرصفة المحطات هو تعبنا الاكبر ! فقد كنا فى
كثير من الايام نقف على رصيف المحطة ١٢ ساعة كاملة !

كانت القطارات تمر أمام المحطة مرتين ، مرة فى الساعة
السادسة صباحا ، ومرة فى السادسة مساء !

و كنا بعد انتهاء كل حفلة نعود الى المحطة .. وفى كثير من
الايام كنا نصل الى الرصيف بعد قيام القطار بدقائق .. فقد
كانت قطارات زمان مع الاسف تتحرك فى مواعيد محددة !! ولهذا
كنا نضطر الى الانتظار ١٢ ساعة على الرصيف !

وكان الانتظار فى معظم الايام وسط البرد الشديد أو تحت
الامطار الغزيرة التى كانت تحرص على استقبالنا فى كل محطة
نلجأ اليها !

وفى أحد الايام عرف أبى سر مفتاح باب استراحة الركاب !
وكان المفتاح هو حنجرة أم كلثوم !

لقد أقتنع والدى ناظر المحطة بأن يفتح لنا استراحة الركاب
وكان الثمن هو أن أغنى للناظر !

وغنيت على أرصفة مئات من محطات الوجه البحرى ..

وبدأت أكتشف أن الدنيا أكبر من الوجه البحرى . وأن هناك
مدنا أخرى لا تقل أهمية عن المنصورة والزقازيق !

اكتشفت أن هناك مدينة جديدة اسمها القاهرة ! اكتشفتها
بمحض الصدفة !

فقد حدث فى اثناء حديث عابر بين الثرى عز الدين يكن وناظر
عزبته ، أن قال صاحب العزبة أنه سيقم فى قصره بحلوان كما دبتة
كل عام احتفالاً ببليلة المعراج ، فقال ناظر العزبة :

- والله عندنا بنت صوتها حلو !

فقال صاحب العزبة : هاتها تغنى لنا !

وسافرنا مع ناظر العزبة لأول مرة الى القاهرة ! ولا أذكر شيئاً
عن المدينة الكبيرة . ان صورتها الصاخبة لم تعش فى ذاكرتى !

كل ما أذكره هو محطة باب اللوق ! ففى هذه المحطة اشتري
لى والدى « كراملة » أعجبتنى وجعلتنى أتصور أن القاهرة بلد
« الكراملة » الحلوة .

وذهبنا الى قصر عز الدين بك يكن ، وخرج صاحب القصر
لاستقبالنا ، ونظر لى من تحت الى فوق عدة مرات ثم سال فى
دهشة « هى دى اللى ح تقرا فى المولد » ؟

ولما هز ناظر العزبة رأسه موافقاً صاح عز الدين بك : ايه لعب
العيال ده ! بلاش كلام فارغ ! انزل مصر حنالا ! وروحوا هاتوا
الشيخ اسماعيل سكر ! يحيى لنا الحفلة !

ووضعونا مع الخدم فى البديوم . ولم أدهش من هذه المعاملة ،
ولم أشعر بأى اهانة لحقتنا ! وجلسنا الساعات فى البديوم
والشيخ اسماعيل سكر يغنى للمدعوين ! وبعد أن أطرب الشيخ
سكر المدعوين واطمان صاحب الحفلة على نجاح حفلته ، قال
الثرى عز الدين يكن للخادم « هاتوا البنات تغنى .. ونشوف
حقوق ايه ! »

وخرجنا من البديوم الى الدور الاول ٠٠
 وصعدت الى كنبه وبدأت أغنى !
 واستعادنى الحاضرون عدة مرات ! واستعادني معهم المطرب
 الكبير الشيخ اسماعيل سكر نفسه !
 ثم جاءنى أحد الخدم وقال لى : الست عاوزة تشوف البنت
 فى الحرملك !
 وصعدت الى الحرملك أنا وأخى خالد ٠٠ وأدخلونا صالونا
 كبيرا مليئا بالاثاث الفاخر ٠
 وسمعنا صوتا يقول لنا : اتفضلوا !
 ولتفتنا نبحث عن مصدر الصوت ٠٠ فلم نر أحدا فى الصالون !
 وعاد الصوت يقول لنا : اتفضلوا ٠٠ اتفضلوا !
 وعدنا نبحث عن صاحب هذا الصوت فى أرجاء الصالون !
 وعاد الصوت يقول : اتفضلوا ٠٠ اتفضلوا ٠٠ اتفضلوا !
 وهنا رأينا صاحب الصوت ٠٠ انه طائر فى قفص !
 وأصبت بالفزع وصرخت : غراب يتكلم ! غراب يتكلم !
 وعدت مع أخى من الصالون فى فزع ! واصطدمت عند الباب
 بحرمة عز الدين بك يكن وأنا أرتجف من شدة الخوف !
 وراحت تهديء من روعى وتسالنى عن سبب فزعى ، فرحت
 أصرخ : غراب ٠٠ غراب بيتكلم !
 وضحكت صاحبة البيت وقالت لى انه ليس غرابا ٠٠ انه ببغاء
 ٠٠ والببغاوات تتكلم !
 وعدت الى قريتى أحدث أصدقائى وصديقاتى عن القاهرة بلد
 العجائب ٠٠ انها البلد التى تتكلم فيها الغربان !



اول تمثال لام كلثوم
صممه الفنان مختار
سنة ١٩٢٦



منه مذكرات أم كلثوم

قرار من أبي : لن نعود إلى القاهرة!

« عندما نتعلم نعترف مكاننا بين
العلماء .. وقد عرفت مكانى .. » !
أم كلثوم

كنت أغنى بلا احساس ولا شعور !
كنت أردد الاغانى التى أسمعها من أبى بنفس الطريقة
التي يردد بها التلميذ الصغير جدول الضرب ، وقواعد النحو
والصرف !

ثم غيرنى فونوغراف !

كان فونوغراف العمدة ! فقد سمعت على هذا الفونوغراف
صوت الشيخ أبو العلا ، وهزنى صوته • كنت أشعر وأنا أسمعه
انه يغنى لى وحدى • وسمعت صوته مئات المرات وهو يغنى :
« أفديه ان حفظ الهوى أو ضيعا ! » وسمعته وهو يغنى « وحقك
أنت المنى والطلب » • • وقصيدة « غيرى على السلوان قادر » •
كان الفونوغراف يسكت • • ولكن صوت الشيخ أبو العلا كان
يستمر يغنى فى أذنى !

كان أطفال القرية يرددون أغنية « أنا نازلة أدلع املا المقل » •
أما أنا فكنت أعيش مع أغانى الشيخ أبو العلا ، وكنت أتصور أنه
قد مات ! لم يخطر على بالى أن صاحب هذا الصوت يعيش فى
الدنيا التى أعيش فيها !
ومرت السنون • •

وفى يوم من الايام كنت فى محطة السنبلاوين ، فسمعت صوتا
يقول : الشيخ أبو العلا هنا !
ولم أصدق أذنى !

ورأيت أبى يسرع نحو الرجل الكبير ويصافحه فى احترام • •
وأسرعت وراءه وأمسكت يده ، ورحت أحدثه على الفور عن اعجابى
وتحول الشيخ أبو العلا عنى ليستأنف حديثه مع الآخرين • • ولكنى



بين عدد من المعجبين
بغناها ، وقلت أم كلثوم
في السنوات المبكرة
لحياتها الفنية ..

منعته من أن يكلم أحدا غيري ! أمسكت بيده ورحت ألح عليه أن
يأتي معي لزيارتنا في القرية . وأحس الرجل الكبير بتعلقى به ،
وجاء معي الى بلدنا .. الى قرية « طماى » !

ودخلت الى أمى . قلت لها : ان أهم انسان فى الدنيا سيتناول
معنا الغداء . كل حاجة عندك قدميها له . ادبحى كل الفراخ
اللى عندنا واللى عند الجيران !

كنت لا أصدق عيني ! كنت أتصور أنني أرى « مناما » ولا
أعيش فى الحقيقة !

ولما جلست أمامه طلبت منه أن يغنى ! فطلب منى أن أغنى له
أولا ! ورفضت ! فقد شعرت أنني لن أجسر على الغناء أمام هذا
العلاق . وأحسست أنه ليس من المعقول أن أخدش أذننى هذا
المغنى العظيم بصوتى ..



ام كلثوم سنة ١٩٢٦
.. صورة اخرى لامثيل
لها عند ام كلثوم ..

ولكن ترددي ذاب أمام قوة شخصيته .. وبدأت أغنى له ..
وبدا هو يغنى لي !

وشعرت أن في بيتنا أجمل أحلامي .. وأحست بضربات قلبي
وأنا أسمع صوته ! كنت أسمع قيثارة أجمل من الفونوغراف .
فقد كان الشيخ أبو العلا أعظم مغن سمعته في حياتي . ولا يزال
هذا رأيي حتى اليوم انه أحسن من غنى . وأحسن من لحن المعاني
قبل الالفاظ ..

وكان الرجل الكبير كريما معي . فقد استمر يغنى . استمر
يغنى لي وحدي عدة ساعات ..

واقترح الشيخ أبو العلا على والدي أن يترك قرية « طماي »
الصغيرة ، وينتقل الى القاهرة . فدهش أبى من هذا الاقتراح !



ام كلثوم تعرف على
العود .. التقطت هذه
الصورة هنا سنة
١٩٢٦ أيضا ..

وقال والدى ! ان طماى بلدنا وعارقانا وعارفينها . ولا يمكن
ان نترك طماى !

ورد الشيخ أبو العلا : ان مستقبل ابنتك أكبر من « طماى » ..
وحرام أن تحبس هذه الموهبة فى قرية صغيرة !

ولاول مرة فى حياتى بدأت اناقش والدى !

وغير أبى موضوع الحديث !

ولكنى رحت « ازن » والح وأرجو .. وعاد أبى يغير موضوع
الحديث !

ولكنى لم اتعب من « الزن » والالاح ! الى أن وقع لى حادث
مسح فكرة الاقامة فى القاهرة من كل أحلامى !

فقد اتفق أحد أهالي القاهرة مع أبي على أن أغنى في فرح ابنه
في كوم الشيخ سلامة المجاور لحى العتبة الخضراء بالقاهرة ٠٠
وعند سفرى الى القاهرة أخذت معى « تحويشة العمر » ٠٠
انها الخمسة عشر جنيتها التى ادخرتها من مصروفى «وعيديتى»
فى الاعياد ٠٠

ونزلنا فى بيت صغير ٠٠ انه بيت صاحب الفرح .
وقبل خروجنا من البيت لاحياء الحفلة ، وضعت ثروتى الضخمة
فى جيبى ٠٠

ولما انتهت الحفلة وعدت الى البيت ، أسرع الى تحويشة العمر
لاخرجها من جيبى ٠٠ فلم أجدها ! اختفت تحويشة العمر التى
تصورت اننى سأشتري بها مدينة القاهرة كلها !

ولم أصدق عينى ! رحمت أبحث فى جيبى وجيب أخى ، وتحت
الكرسى ٠٠ فلم أجد لها اثرا ! ولم أذرف الدموع . كانت نكبتى
اقوى من الدموع !

وأخفيت الحادث عن أبى فى أول الامر ٠٠ ثم اضطررت أن
أعترف . ولن أقول الآن ما قاله أبى لى وقتها .

وعاهدت نفسى الا أزور القاهرة بعد ذلك ٠٠
ولكن نداء القاهرة كان اقوى من ضياع أموال قارون !

فقد عدنا للقاهرة مرة أخرى . وأقمنا فى حجرة بلوكاندة
جوردون هاوس ، التى تطل على شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن) .
ومن شرفة حجرتى بهذا الفندق رأيت السينما لأول مرة فى حياتى !
فقد كانت تطل على سينما « جوزى بالاس » . رأيت رجالا ونساء
يتحركون على الشاشة البيضاء . رأيت شابا يقبل فتاة . رأيت
دنيا غريبة لم أشهدها لا فى طماى ولا فى الزقازيق ٠٠ ولا حتى
فى المنصورة !

ولم يخطر ببالى وأنا واقفة فى شرفة حجرتى بفندق جوردون
هاوس أن أم كلثوم نفسها ستظهر فى يوم من الايام على هذه
الشاشة البيضاء !

وكان فى حجرتنا بالفندق ثلاثة سراير ٠٠ لأبى ولأخى ولى .

وكنت أتصور أن هذا الفندق المتواضع هو أكبر فنادق القاهرة .
فلم أكن يومها قد سمعت عن شبرد وسميراميس !

وكانت بحجرتنا الصغيرة شرفة تطل على شارع فؤاد ، وشرفة
أخرى تطل على المدرسة الاعدادية . وكان الشيخ أبو العلا يحضر
الى زيارتنا ، وأجلس بجانبه أستمع الى كلامه وغناؤه . .

كنت أسهر طوال الليل أسمع أحب الاصواب الى قلبى ! فقد
كان غناؤه أحب الى من النوم !

وفى احدى الليالى ونحن جالسون فى الشرفة غنى لى الشيخ
أبو العلا ثم التفت الى وقال : أنا غنيت لك كثير . . ماتغنى لى
بقي . . !

وغنيت له !

وسكت الشيخ طويلا . . ثم رأيت دمعة تسقط من عينه ، ثم
قال : لن أفترق عن هذا الصوت طول عمري !

وفعلا : لم نفترق منذ تلك اللحظة . كان يصحبنى مع أبى وأخى
فى كل حفلاتى وفى كل مكان أذهب اليه .

وغيرنى الشيخ أبو العلا . علمنى أن أفهم الكلام قبل أن أحفظه
وأغنيه !

فقد كنت حتى هذه اللحظة مثل ببغاء الثرى عز الدين يكن ،
أردد الكلام بلا فهم ولا اهتمام !

وبدأت الكلمات غير المفهومة تتعثر فى فمى ، وترفض الخروج
من بين هفتى !

وفى احدى الليالى كنت أغنى مع أفراد الفرقة : جل من طرز
الياسمين فوق خدك بالجلنار ، واصطفى ذا الجمان الثمين معدنا
من لماك العقار !

ووقفت كلمة « الجمان » فى فمى ، ورفضت الخروج من بين
شفتى ! وتركت باقى أفراد الفرقة ينطقون الكلمة وحدهم !

وتصور أبى اننى نسيتها ، فلم يعر الامر اهتماما !

ولما تكرر وقوفى عند كلمة « الجمان » أحس والدى بأن المسألة
ليست مسألة نسيان ، فسألنى ، لماذا لا أغنى هذه الكلمة ؟ . .

وأجبتة : موش عارفه أقولها ازاي ! موش عارفة أقولها وأنا
باضحك والا أقولها وأنا مكسرة ٠٠ أنا موش فاهمة معناها ايه !
وكانت هذه هي المرة الاولى التي أواجه فيها والدى بما تعلمته
من الشيخ أبو العلا ٠٠ وهو أنه يجب أن أفهم المعاني قبل أن
أغنى الكلمات !

وعن طريق الشيخ أبو العلا عرفت الشاعر أحمد رامى !
فقد التقى أحمد رامى بالشيخ أبو العلا ذات يوم ، وسأله : فيه
بنت بتغنى اسمها أم كئوم ٠٠ ايه رأيك فيها ؟
فأجاب الشيخ أبو العلا : دى بتقول لروحها « آه » !
وفى احدى حفلاتى بحديقة الازبكية اقترب منى شاب وقال لى :
أنا أحمد رامى !

ورأيت أمامى لأول مرة الشاعر الذى أغنى أشعاره !
وأردت أن أقول لهذا الشاعر : أهلا ٠٠ فغنيت له قصيدته
« الصب تفضحه عيونه » ٠٠ وكانت مفاجأة له ٠٠!
وكان رامى يحب الغناء ٠٠ وكنت أعشق الشعر .
وكانت هوايتى للشعر قد بدأت بكتاب وجدته مع أخى ! أخذته
منه لأتفرج عليه . كان الكتاب هو قصة « العبرات » لمصطفى
لطفى المنفلوطى !

وأمسكت الكتاب لأتفرج عليه ، وأعيدته الى أخى !
وفتحت الصفحة الاولى ٠٠ ولم اترك الكتاب الا بعد أن وصلت
الى الصفحة الاخيرة . وعشقت المنفلوطى . قرأت له «النظرات»
و «العبرات» وكل القصص التى كتبها !

★ ★ ★

وفى أحد الايام شعرت بجوع للقراءة . أردت أن أقرأ . رحمت
أقلب كتب القصص التى توجد فى بيتنا الصغير ، فوجدت أننى
قرأتها كلها . قرأتها عشرات المرات . وبدأت أبحث عن كتاب جديد
وفى تلك اللحظة بدأت هوايتى للشعر . كنت أحفظ الشعر ولا
أفهمه . كنت أتصوره كلمات موزونة يعدها الشعراء للغناء .

وفى أحد الايام ، رحلت أبحث فى حجرتنا الصغيرة عن كتاب أسلى به نفسى . وفتحت ديوان شعر ابن الفارض . وقرأت البيت الاول فى القصيدة . . ففهمته . ورحلت أقرأ باقى القصيدة فى لهفة . .

وبعد ديوان ابن الفارض قرأت ديوان ابن الرومى والبحترى . ثم قرأت الاغانى الذى يتألف من ١١ جزءا ، واخترت منه قصائد جديرة بأن تغنى .

ثم قرأت « الامالى والحماسة » . وبدأت أشتري دواوين الشعراء بعد أن كنت أستعيرها من أبى . وقرأت ديوان المتنبى والشريف الرضى ومهيار الديلمى .

وأصبحت أعشق الشعر !

أصبحت أقرأ القصيدة بنفس الלהفة والمتعة والشغف التى تقرأ بها فتاة أول قصة غرامية !

وكان لأحمد رامى الفضل كل الفضل فى تذوقى للشعر وتفهم معانيه . كان يقدم لى فى كل مرة يزورنى فيها ديوان شاعر .

وتعلمت موازين الشعر ، لدرجة أننى بدأت أحس بالبيت المكسور ، والبيت الذى يقف على قدميه !

ولكنى لم أفكر فى يوم واحد أن أنظم بيتا واحدا من الشعر . لعل السبب هو كثرة قراءتى . . ولأننى قرأت الشعر الجيد وتذوقته . .

ولولا قراءتى لحاولت أن أنظم عددا من القصائد أعبر فيها عن مشاعرى . ولكننا عندما نتعلم نعرف مكاننا بين العلماء . وقد عرفت مكانى !

واستمرت صداقتى بأستاذى الشيخ أبو العلا سنين طويلة . كنت أبحث عنه فى كل مكان لاستظل برعايته وأستاذيته وكنت أطلبه فى كل مرة نلتقى فيها بأن يغنى لى ! كان غناؤه هو غذاء روحى .

وفجأة . . ثقل لسانه ، وأصبح يتعثر فى نطق الكلمات . . ومع ذلك كان يغنى لى ! وعندما يخونه صوته أثناء الغناء كان يقول لى :

- انت عارفه انا عاوز اقول ايه !؟

وفى احدى الليالى فوجئت بوفاة الشيخ ابو العلا ..
وامتلا رأسى بقصائد الشعراء .. بعد أن امتلأت روحى بأغانى
الشيخ أبو العلا .

ولم أستطع أن أبقي فى بيتى .
ولم أحتمل أن أذهب الى بيته !

مشيت فى شوارع حى الزمالك شارعاً شارعاً ، ولم أذرف
دمعة واحدة !

مشيت الى شارع فؤاد ثم الى شارع الملكة نازلى ، ثم عدت
أمشى فى شوارع الزمالك مرة أخرى ! كنت أتصور أننى سأغسل
شوارع القاهرة فى تلك الليلة بدموعى . ولكن دموعى تحجرت
فى عيني .

وكان يمشى معى أخى خالد وعازف الكمان سامى الشوا . كانا
يحاولان أقتناعى بالبكاء تحت أى سقف . ولكننى كنت أرفض .
وقضيت الليل هائمة على وجهى . أبكى بغير دموع أستاذى الذى
علمنى كيف أعبر عن المعانى بالنغمات .

★ ★ ★

وتعرفت بكبار الموسيقيين وبالأستاذين حسنى أنور وأمين المهدي
وهو أبرع من عزف على العود .. ونشأت بيننا صداقة عائلية ..
وأثناء اصطيفائى بالاسكندرية زارنى أمين مهدي ودعانى لزيارة
بيته الذى يطل على ترعة المحمودية . وفى هذا البيت التقيت بأول
صديقة لى ..

كانت تلميذة فى « الميردى ديبه » . وكان اسمها روحية المهدي
انها ابنة أمين المهدي .

لقد أصبحنا صديقتين بعد ساعة من اللقاء . أحسنا تجاوبا
عجيبا ، شعرت كل منا أنها تعرف الاخرى منذ سنوات وسنوات !
وبدأت صداقتنا تقوى على مر الايام .

ولما انتهت شهور الاصطياف وعدنا الى القاهرة كنت أحرص على زيارة بيت أمين المهدي كل يوم أحد . فقد كان يوم الأحد هو أجازة روحية من مدرستها .

وكانت روحية تقيم في بيت بباب الخلق يواجه دار الكتب . وفي كل أسبوع كنت أقطع المسافة من شقتي بعمارة بهلر بالزمالك الى ميدان باب الخلق لألتقي بصديقتي التلميذة وأفتح لها قلبي وتفتح لي قلبها ، وتحدثني عن أحلامها وأحدثها عن أحلامي .

وكانت القاهرة بالنسبة لي هي الطريق من الزمالك الى باب الخلق . فقد كنت لا أخرج من بيتي الا لأذهب الى روحية يوم الأحد ، أو لأذهب في المساء الى حديقة الازبكية لأغني أو عندما أذهب في الليل الى الفرع الذي سأغني فيه .

وفي خلال السنوات الأربع الاولى التي أمضيتها في القاهرة . . كانت العاصمة بالنسبة لي هي شارع فؤاد « ٢٦ يوليو الآن » وميدان قصر النيل وميدان عابدين وميدان باب الخلق .

في خلال السنوات الأربع لم أدخل السينما مرة واحدة !
في خلال السنوات الأربع لم أدخل محلا تجاريا مشهورا أو مطعما كبيرا .

في خلال السنوات الأربع لم أدخل الا مسرحا واحدا هو مسرح الماجستيك ، فقد كان والدي يحب روايات الكسار . .

وكانت معلوماتي عن القاهرة هي ما قرؤه في الصحف والمجلات، وأسمعه من الناس .

ومع هذا الحصار الذي كنت أعيش فيه ، أحببت القاهرة وعشقتها . كنت أحس أنني أعيش في أجمل بلد في الدنيا . أحببت أهلها .

وجدت في هذه المدينة الحلوة ضمانا واهتماما وتشجيعا . وجدت فيها مجدا لم يخطر لي على بال !

وفي يوم من الايام عاد والدي الى بيتنا وهو متجهم الوجه . . ودخل حجرته . . ونادى علي والدي ، فدخلت وأقفلت الباب . وسمعت همسا لم أهتم به .

ولكني رأيت أمي تفتح الباب ، وتبدأ في حزم الحقائق .

وسألت أمى : ماذا جرى ؟

فسكتت ولم ترد .. استمرت تملأ الحقائق بالملابس ..

وسألت والدى ، فقال بحزم : خلاص ! احنا راجعين بلدنا !
لن نبقى فى مصر بعد الآن .. ولن نعود إليها !

ودهشت من هذا القرار العجيب !

كيف نهجر القاهرة وقد التقيت فيها بمجد لم أحلم به . كيف
أهجر « أم الدنيا » بعد أن أحببتها وأحببت من فيها ، وبعد أن
التقيت فيها بحظى .

ورحت ألح على والدى أن تبرر لى قرار والدى ! رحت أقول لها
أريد أن أعرف لماذا سنهجر القاهرة .

وأشارت لى والدى الى مجلة ملقاة على الارض .

والتقطت المجلة . انها مجلة « المسرح » التى يصدرها الناقد
المسرحى عبد المجيد حلمى .. ورحت أقلب صفحات المجلة فى
لهفة .. فلم أجد ردا على سؤالى .

وعدت أقرأها سطرا سطرا .

ثم سقطت المجلة من يدى !

لقد نشرت المجلة خبرا عجيبا عنى ! كان خبرا كاذبا عن سمعتى
ولكن المرحوم عبد المجيد حلمى كان يعجب فى ذلك الوقت بالسيدة
منيرة المهدية . وبدلا من أن يقدم لها باقة ورد .. رمى تحت
أقدامها شرف المطربة الجديدة !

ولكن .. هل من العدالة أن يضحي أبى بمستقبلى بسبب
خبر كاذب ؟

هل من العدالة أن تدفع الضحية ثمن سكينه الجزار ؟

ان والدى يعرف أن الخبر لا أساس له من الصحة .. فهل
الطريقة للاحتجاج على الخبر أن نجمع ملابسنا ونهاجر الى
قرية طماى ؟

ورحت أستنجد بأصدقاء أبى !

رحت أرجو كلا منهم أن يحضر لاقناع أبى بالعدول عن الهجرة
من القاهرة •

وجاء الاصدقاء الى بيتنا ليحاولوا اقناع أبى بالبقاء فى القاهرة
قالوا له ان ابنته أصبحت مشهورة ، وأن للشهرة ضرائب يجب
أن يدفعها صاحبها ! وأولى هذه الضرائب أن يحتل نشر الاكاذب
التي تنشرها عنه بعض المجلات الصغيرة •

ورفض أبى وساطة هذه الوفود • أصر على الهجرة الى قريتنا
« طماى » •

وعندها استسلمت للأمر الواقع • وجلست فى حجرتى أكتب
خطابات وداع لصديقاتى ومعارفى • كنت أكتبها بدموعى •

وبين الخطابات التي كتبتها خطاب عصرت فيه قلبى ! أرسلته
الى صديقتى التلميذة فى مدرسة « الميردى ديبه » • لقد كتبت
هذا الخطاب بدموعى • حدثتها عن قرار أبى • ورحت أودعها
وأودع القاهرة الحبيبة • • وكأنى أودع الدنيا كلها !

وجاءت أسرة المهدي الى بيتنا • • فوجدوا الحقايب معدة !
وتكلمت سيدات الأسرة ، ورحن يناقشن والدى فى قراره فى
بلاغة وحكمة ومنطق •

ولم يقتنع أبى !

ثم ركزن سهامهن على عاطفة أبى وحبه لى • قلن له ان
قراره سيقضى على مستقبلى ! سيدفن المجد الذى كان ينتظرنى
تحت تراب قرية طماى •

ولم يقتنع أبى •
وأخيرا تكلم أمين المهدي • •

قال لأبى : ان معنى مغادرتكم القاهرة أن الخبر الذى نشرته
مجلة « المسرح » عن أم كلثوم هو خبر صحيح • • فالناس تهرب
من الحقيقة ، ولا تهرب من الاكاذيب !

وقام أبى من مقعده • • وبدأ يفتح حقائبنا ويخرج منها الملابس
وحتى تلك اللحظة كنت أقيم فى القاهرة فترات متقطعة ، ثم أعود
الى الريف • •

أما الآن ، من هذه السنة - ١٩٢٦ - فقد بدأت أقيم فى القاهرة
بصفة أساسية .. ولكنها كانت إقامة صعبة جدا فى البداية !!

★ ★ ★

انتهى الجزء الاول من مذكرات أم كلثوم ..

والسؤال الآن : كيف كانت القاهرة سنة ١٩٢٦ ؟ القاهرة التى
ستشهد من الآن فتاة قروية .. ترتدى عقالا وبالطو أزرق ..
وتغنى المدائح النبوية ؟ ..

سؤال يجيب عليه الفصل التالى ، قبل أن نعود من جديد الى
مذكرات أم كلثوم ..



القاهرة ٢٦

فى القاهرة غناء للرجال وغناء للنساء ٠ فى
القاهرة موسيقى للفقراء وموسيقى للأغنياء؟

القاهرة: ١٩٢٦ البيضة فى مصر بمليم .
 رطل اللحم بقرشين . مشفى بثلاثة قروش
 • علبه السجاير ماركة « العنبرول » بقرشين .
 • الأوتوموبيل الفاخر خمسة محلات بـ ٣٦٠ جنيها .
 • الرواية المقررة على طلبة البكالوريا هى زهراى ورستم .
 على أفندى الكسار بربرى مصر الوحيد يمثلى رواية البربرى
 فى الجيش .
 • نابغة مصر فى التمثيل يوسف وهبى يقوم ببطولة رواية الذبائح .
 • المسبتر سمسون رئيس النيابة المختلطة بالمنصورة يحضر حفل
 مدرسة المنصورة الاميرية .

و ٠٠ نحن فى سنة ١٩٢٦ ٠٠

السكان فى القطر المصرى كله عددهم محدود . بالضبط ١٢
 مليونا و ٢١٧ ألف نسمة . من بين كل مائة من السكان فى مصر
 هناك ٢٦ يموتون بعد سنة من مولدهم . المرض وسوء التغذية
 سبب ذلك .

الذين يعرفون القراءة والكتابة فى مملكة مصر – مجرد القراءة
 والكتابة – عددهم ١٩٧ فردا فى كل ألف من السكان .

• الصحف فى مصر محدودة . الاخبار فيها محدودة أيضا .
 • منها تلك العناوين المنشورة فى مقدمة هذا الفصل .

• من الاخبار التى تبرزها مجلة « اللطائف المصورة » أيضا .
 خبر يقول « ٠٠ يشاع أن الحكومة المصرية تنوى فتح نفق من
 السيدة زينب الى محطة باب الحديد لمرور سكة حديد حلوان تحت
 الارض بعد أن تتحول قاطراتها من بخارية الى كهربائية » . أن



م كتوم فى راس الجير
جلسة على البلاج مع كتاب عن الشعر العربى القديم

الزحام سبب في هذا المشروع . بطء القطارات سبب آخر . ان السفر بالقطارات من القاهرة الى الاسكندرية يستغرق سبع ساعات . لهذا يسمون القطار « المستعجلة » !

نفس المجلة تنشر على عرض صفحة كاملة منها صورة كتبت تحتها قائلة « هذه صورة اتحفنا بها المصور الشهير الخواجة زولا لحضرات أعضاء لجنة الاحتفال بتكريم فخامة المندوب السامى جورج لويد والملاى قرينته بصفته ممثلاً لانجلترا صديقة مصر، الذى نحى فيه رسول السلام بين الشعبين » !

هذه واحدة من مظاهر كثيرة لتفسخ المجتمع المصرى فى تلك الفترة . فبعد ثورة عظيمة قام بها الشعب سنة ١٩١٩ بدأت مصر تحارب نفسها .٠٠ بينما يتفرج عليها محتل غاصب وحاكم مستبد . ولقد أدى انتكاس الثورة الى تفشى ظواهر مرضية فى المجتمع المصرى .٠٠

فالانتهازيون والوصوليون منتشرون فى الحياة العامة . لخصهم سيد درويش منذ سنوات عندما غنى فى أوبريت « العشرة الطيبة » علشان ما نعلى ونعلى ونعلى .٠٠ لازم نطاطى نطاطى نطاطى !

والصراع دائر علنا بين الاحتلال ومجموعة من المثقفين الشبان انتجتهم ثورة ١٩١٩ منهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد ومحمد حسين هيكل ، وفكرى أباطة .

والشكوى عامة من الانحلال الاخلاقى . بسببها نشرت المجالات صورة لـ « .٠٠ نفر من أعضاء جمعية الشرف التى تأسست فى القاهرة لنشر الفضيلة ونصح الشبان بالابتعاد عن الرذيلة » . والرذيلة لها جمهور واسع يغذيها .

من هذا الجمهور الجنود الانجليز الذين يمرحون فى شوارع مصر ويسهرون لياليها . اماكن السهر تنحصر بين ميدان الاوبرا فى القاهرة وبين شارع عماد الدين والفجالة . فى شارع عماد الدين تستطيع أن تشرب البيرة والمويسكى . اذا أردت « العرقى » فاتجه الى الفجالة . « البوظة » فى شارع كلوت بك . على امتداد هذه الشوارع تستطيع أن تقرأ هذه اللافتات « خمارة مانولى » ، « بار خريستو » ، مقهى « كوستى » ، بار «بنايوتى» خمارة « خرامبو » .

وإذا سرت فى شارع محمد على تجد على يمينك وعلى يسارك دكاكين صغيرة علقت على جدرانها آلات الطرب من عود ورق ودريكة فوق الدكاكين اعلانات بأسماء أصحابها من أهل الفن : « الاسطى حميدة » مثلا . عوادة . « الاسطى زوبه » عالمة . « نعيمة المصرية » أرتيست .

داخل هذه الدكاكين توجد فئة من المتعهدين تسمى «المطيباتية» ان « المطيباتى » يتفق مع الزبائن ويقتسم الاجر . وفى ليلة الفرح يرتدى الملابس المزركشة ويضع خاتما فى اصبعه . وطوال غناء «العائلة» فان المطيباتى مسئول عن استمرار آهات المعجبين من الجمهور فى كل مكان من السراىق .

إذا وصلت الى شارع عماد الدين فسوف تجد كازينو دى بارى مسرح البرنتانيا . مسرح الاجبسيانا . الريفسانس . الألبى دى روز . الكوزمو . ثم . مسرح رمسيس .

هنا تجد نوعا آخر من أهل الفن والطرب والموسيقى .

ان فى القاهرة موسيقى للفقراء . . وموسيقى للاغنياء .

فى القاهرة غناء للرجال . . وغناء للنساء .

فصاحب الفرح . . عندما يكون ثريا . . فانه يدعو نوعين من المطربين . . مطرب له وللوجهاء . وآخر للجمهور العادى .

● ان مطرب الاغنياء يرتدى بدلة . وهو صييت معروف باسمه الشيخ حامد مرسى . . اسماعيل سكر . . عبد اللطيف البنا . . الخ . ومطرب الفقراء يرتدى الجلباب . انه صييت معروف بصفته من هؤلاء مثلا : فرقة الخضرى ، والقهوجى ، وحسين الكوجى ، وشحات الحلوانى . . الخ .

● مطرب الاغنياء يحيى الليلة الرئيسية . ليلة الزفاف .

ومطرب الفقراء يحيى الليالى السابقة على الزفاف .

● وعندما يغنى مطرب الاغنياء يستأجر الثرى ماكينة كهرباء . فالمدعون كلهم وجهاء . أما عندما يغنى مطرب الفقراء فان صاحب الفرح يستأجر كلوبات غاز .

● وإذا اجتمع المطربان فى ليلة واحدة فان مطرب الاغنياء يغنى فى الحقل . بينما الآخر يغنى فى الاستراحة !

● مطرب الاغنياء متفرغ للغناء • ومطرب الفقراء غير متفرغ • لا يستطيع •• ولذلك كان من الشائع أن يعمل بأكثر من حرفة •• من بينها الغناء أو التلحين • فنجد فى شوارع القاهرة لافتة كتب عليها « بائع يانصيب وسجاير •• ومغنى » • لافتة أخرى «ملحن أناشيد ومقرئ مدائح نبوية ومشخص » • لافتة ثالثة «حانوتى ومقرئ ومشخصاتى » • رابعة « دار الجيلاتى والتشخيص والتلحين » • ١

وعندما بدأت أم كلثوم تغنى فى القاهرة فلقد كانت ماتزال تنتمى الى الدائرة الثانية : صالح عبد الحى يغنى فى ليلة الفرح ، وهى تغنى فى الليالى السابقة على الفرح • هى نفسها تأتى الى الفرح راكبة ، ثم تعود بعد الفرح سيراً على الاقدام • هى نفسها فقيرة ، تغنى المدائح النبوية • ترتدى العقال على رأسها وبالطو أزرق على جسمها • ملابس متواضعة • ومازال عليها أن تحارب لكى تدخل الدائرة الاخرى المغلقة : دائرة المطربين المشهورين أو نصف المشهورين • ان عليها أن تفعل ذلك مع الانخفاض الشديد فى الاحترام الذى يعطيه المجتمع لأهل الطرب •

ان كلوت بك مثلاً قدم صورة حية لذلك عندما سبق أن سجل فى كتابه « وصف مصر » يقول : « •• والمغنون المصريون الذين صنعتهم الغناء يسمون بالآلاتية مفرد الآتى • وتتألف منهم فى مصر طبقة محتقرة فاسدة الاخلاق • اذا جىء بهم الى منازل الخاصة تقاضوا أجراً لا يتجاوز ما يعادل ثلاثة فرنكات الى أربعة فى الليلة الواحدة • والمدعوون لسماعهم يصدقون عليهم عادة من محض كرمهم شيئاً من المال يضاف الى تلك الاجرة الزهيدة • وتقدم اليهم أثناء الغناء المشروبات الخمرية كالعرقى وغيره • وهم يفرطون فى شربها • ويحدث أحياناً وقد لعبت الخمر بعقولهم أن يفتقدوا رشدهم ويسقطوا على الارض • وفى مصر مغنيات يسمين بالعوالم ، وهى كلمة أطلقها الاوربيون على جميع الراقصات من غير تمييز ولا استثناء » •

ان كلوت بك يصف الغناء والموسيقى فى مصر خلال القرن التاسع عشر • ومع ذلك فحتى هذه السنة ١٩٢٦ - كانت النظرة الى الفن عموماً لم تتغير بعد كثيراً •

فبعدما بدأ توفيق الحكيم يكتب للمسرح فى القاهرة خلال العشرينات وصفه أحد أصدقائه قائلاً انه « •• منخرط فى زمرة أهل الفن والعياذ بالله » ! • من مذكرات توفيق الحكيم •

وعندما عبر المرحوم زكريا أحمد لأبيه عن رغبته فى العمل بالغناء والتلحين قال له والده الشيخ أحمد صقر مرزبان « بقى يابنى تبقى من عيلة مرزبان... وتطلع من بتوع ياليل يا عينين؟! »
•• مذكرات زكريا أحمد ••

وهذه النظرة لم تقتصر على الشخص العادى •• بل هى ممتدة الى الحكومة أيضا • ان تطوير ورعاية الفن - هذا رأى الحكومة - هو من اختصاص وزارة الاشغال ! انه كصرف الطرق وبناء الجسور والترع !

وعندما نشرت الصحف فى سنة ١٩٢٦ خبر ايفاد أول بعثة فنية مصرية قالت « أوفدت الحكومة المصرية فى العام أول بعثة لدراسة التمثيل مكونة من فرد واحد هو زكى أفندى طليمات الموظف بوزارة الاشغال » ••

وزارة الاشغال هى التى أشرفت على اقامة أول مسابقة فنية سنة ١٩٢٦ • وكانت الجوائز الاولى فيها من نصيب : زكى رستم فى التمثيل التراجيدى • بشارة أفندى يواكيم فى التمثيل الكوميدي •• السيدة فيكتوريا موسى فى التمثيل الكوميدي للسيدات •• و •• السيدة منيرة المهدي فى الغناء المسرحى ••

ان منيرة المهدي هى سيدة الغناء فى مصر منذ سنوات طويلة مضت •• الى جانبها توجد السيدة نعيمة المصرية • السيدة توحيدة • السيدة فتحية أحمد • الأنسة أم كلثوم !

والى جانب هؤلاء توجد من الممثلات : فيكتوريا كوهين وشقيقتها هزييت كوهين ، مارى منصور ، دوللى أنطون ، رتيبة رشدى وشقيقتها فاطمة رشدى ، دولت أبيض ، أمينة رزق ، وأبريز ستاتى ••

ان انتشار الاسماء الاجنبية فى الوسط الفنى سببه ان الفتاة فى مصر لم تكن قد دخلت بعد باب التمثيل على نطاق واسع • بل ان فرقة دار التمثيل بالعربى ، عندما قدمت للجماهير رواية « بنت السبندر » سنة ١٩٢٦ - فانها أسندت دور المرأة فيها الى الممثل حسن فائق • ونشرت له مجلة « المسرح » صورة (براقه) بصفائح الشعر الطويلة والروج الفاقع •

والصحف نفسها كانت تنشر بين وقت وآخر صور الممثلات اللامعات •• فى أزياء الرجال ! مرة تنشر صوراً لزَيْنْبِ صدقى

وقاطمة رشدى بالطربوش والبدلة . ومرة تنشر صوراً لفاطمة
اليوسف وبدبعة مصابنى وعزيزة أمير وأمينة محمد وفتحية أحمد
فى ملابس (الافندية والخواجات) !

و . . نحن فى سنة ١٩٢٦

ان المظهر الرئيسى للاهتمام بالفن هو الصحف . ان الصحف
والمجلات خصصت عدداً من أكبر كتابها لنقد الحركة المسرحية
والغنائية والموسيقية . محمد التابعى يكتب عن المسرح فى (الاهرام)
. . التوقيع « حندس » . ابراهيم المصرى يكتب فى مجلة
« التمثيل » . زكى طليمات فى « المقطم » . عبد المجيد حلمى
فى « المسرح » . سعيد عبده فى روزاليوسف . الخ .

ولكن النقد لم يكن امراً سهلاً . ان أحد النقاد كتب كلمة خفيفة
عن تمثيل السيدة ماري منصور . ولكن « . . السيدة لم تر رأيه » ،
فأرسلت وراءه نفراً من أصحابها ليلقوا عليه درساً فى فن الكتابة
. . وليبرهنوا له على أن العصا أقوى حجة من « القلم » !

صحفى آخر . . « هددته ممثلة فى مسرح كبير بالشبشب فى
الطريق العام ، وألقت عليه محاضرة طويلة عن أصله وأصل
آبائه وأجداده » !

ناقد ثالث كتب مقالا عن رواية « قمر الزمان » انتقد فيه بشدة
السيدة منيرة المهدي . ثم « . . اضطر بعدها الى أن يحمل
شومة فى يده أينما سار ليدافع بها عن نفسه - رأيه - ضد فتوات
عماد الدين الذين أرسلتهم وراءه السيدة ليتفاهموا معه » .
ان السيدة منيرة تمثل وتغنى . .

والاتجاه فى الغناء كان متذبذباً . فبعد نهضة قصيرة فى
المسرح الغنائى مثلها سيد درويش . . بدأ الغناء يبتعد عن
التواشيع ولكنه يقترب من الخلاعة . ان أحد الشعراء قدم مرة
قصيدة شعرية طويلة الى كامل الخلعى لكى يلحنها فصاح فيه
الخلعى قائلاً :

كيف يمكن تلحين ذلك ؟ هذا شريط ترمواى وليست قصيدة !
أما الاغانى المنتشرة فكانت تختلف .

مثلا . . الاغنية المشهورة التى ألفها يونس القاضى وغناها
عبد اللطيف البنا تقول : ارخى الستارة اللى فريحننا . . أحسن
جيرانك تجرحنا !

هذه الاغنية تستطيع سماعها فى مقاهى القاهرة مثل : اللاوندية
وأسماء الكمسارية • أو- بالاسكندرية - فى مقهى شيبان أو
مقهى الياس •

اغنية أخرى تقول : مين فيكو بابا مين فيكو ماما •• مش
عارفة نينة من غير علامة !

اغنية ثالثة فى مقهى الالدراو تقول : اوعى تكلمنى بابا جاى
•• ورايا ••

• تغنيها عزيزة المصرية •

اغنية رابعة يطلبها « السميسة » تقول :

ما تخافش عليه أنا واحدة سجوريا

فى العشق يا انت واخدة البكالوريا

وإذا سرت خطوات أخرى فى شارع عماد الدين فسوف تسمع
اغنية الموسم :

ايه اللي جرى •• فى المنذرة

شئ ما افهموش

أنا كنت لسه صغيرة !

وكان الجمهور يعبر عن اعجابه بالطرايبش • ان قذف
الطربوش هو أقوى وسائل التعبير عن الاعجاب عند جمهور ١٩٢٦ •

• والطرايبش تملأ جميع مسارح القاهرة •

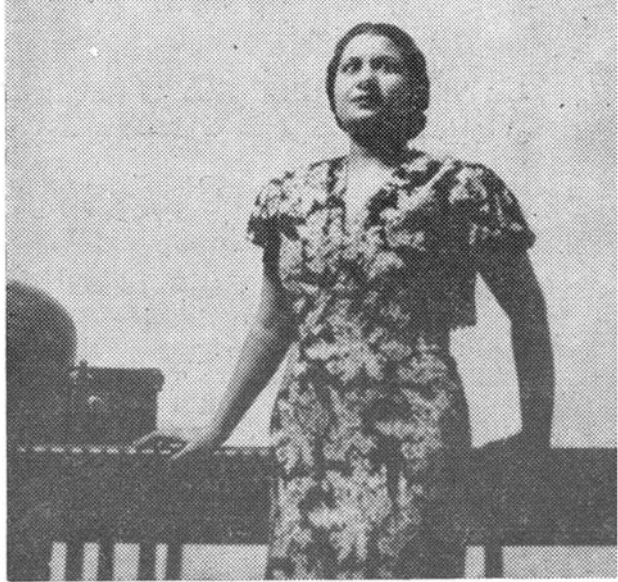
الطرايبش تملأ مسرح « الرينسانس » بشارع فؤاد (أقيمت
مكانه فيما بعد سينما ريفولى) •

وتملأ « تياترو ماجستيك » بشارع عماد الدين ، حيث تعرض
رواية « الطمبورة » •

وتملأ أيضا مسرح رمسيس، الذى يعرض رواية «حانة مكسيم»
وتياترو حديقة الازبكية حيث تعمل فرقة عكاشة •

ودار الطرب الجديدة - صالة بديعة مصابنى - بشارع عماد
الدين • اعلانات الصالة تقول ان السيدة بديعة قد « خصصت
مقاعد للسيدات بعيدا عن الرجال •• حفظا لكرامتهن » !

وتياترو برنتانيا، حيث يقدم جوق السيدة منيرة المهدي الرواية
الجديدة «البريكول» وتلحين كامل أفندى الخلقى • خارج التياترو
تقول الاعلانات « تقوم بالدور المهم فى الرواية السيدة منيرة



أم كلثوم مع المود..
صورة تحتفظ بهي
أم كلثوم لنفسها ..

المهدية سلطنة الطرب وكروانة مصر الوحيدة وبلبل وأدى النيل! اعلانات أخرى تقول « الليلة تغنى السيدة منيرة المهدية • دكتوراه ممتازة فى الغناء والطرب بين العالم الشرقى جميعه » !

فى داخل المسرح تسمع منيرة المهدية و هى تغنى • عندما تغنى يقف خلفها «المذهبية» أو « السنيدة » ، الذين لا ينطقون ولا يتحركون الا بقدر •• وفى الوقت الذى تريده « الصبيغة » !

ومنيرة المهدية بدأت العمل فى صالة الالدرادو ، حيث كان الذهب يتدفق من العمد والاعيان • وقد أصبحت بعد قليل تلقب بـ « سلطنة الطرب » ، حتى لقد كان يجتمع فى بيتها مجلس الوزراء •• واذا غضب منها أحد رؤساء الوزراء •• كانت تصالحه بأغنية «تعالى ياشاطر نروح القناطر» • ويصطلح رئيس الوزراء ويذهب الى القناطر !

ان هذا المستوى من الاغانى كان قد اضطر سيد درويش - قبل سنوات من وفاته - الى أن يجاربه عندما لحن وغنى : الاستيك فوق صدرك يضوى • و : يا أنا يا انت يا واد يا ماطاط !

وهذا المستوى من الخلاعة هو الذى اضطر سيد درويش أيضا أن يلحن منذ سنوات روايات كشكش بكالتى كان نجيب الريحانى يقوم ببطولتها •



أم كلثوم مع باقة زهر
.. في شرفة منزلها.

هنا بالضبط يقول توفيق الحكيم في كتابه « سجن العمر » :
كان الاقبال على كشكش بك يعادل الاقبال على الكباريات . ولم
يكن سر رواجه في الحقيقة الا تلك الراقصات الجميلات
الشقراوات الاجنبيات الوافدات علينا من الخارج عقب الحرب
الاولى مثل « دينالساكا » ومثيلاتها ممن قذف بهن الجوع من
بلاد منهزمة كالنمسا والمانيا .. فجنن الى مصر المفتوحة يومئذ
لكل من هب ودب . فملأ السارح والحانات وقاعات الليل .
وكان الشباب من الوارثين يقبلون على تلك الحال جميعا لمصاحبة
الفتيات آخر الليل . وكان الواحد منهم يحضر الرواية الواحدة
للريحاني كل ليلة ، لا حبا في الرواية نفسها - التي سبق ان
شاهدها مرات - ولكن من أجل سيقان الفتيات .

حسنا ..

هذه هي السنة التي قررت فيها أم كلثوم أن تستقر بالقاهرة .
وهذا هو نوع من الجمهور الذي تشهده مسارح ومقاهي القاهرة
سنة ١٩٢٦ .

هل تختار أم كلثوم هذا النوع جمهورا لها ؟ هل تغنى له :
ما تخافش عليا أنا واحدة سجوريا ؟

هل تفعل أم كلثوم كذلك ؟

نعود الى مذكرات أم كلثوم ..



منه مذكرات أم كلثوم

صفعني أبي ليرضى الجمرور!

« ليس مهما ان اكون مطربة من الدرجة
الثالثة ، المهم الا ابقى فى الدرجة الثالثة! »
أم كلثوم

كانت

القاهرة عندما بدأنا نستقر فيها سنة ١٩٢٦ كالمرخ في كل شيء فيها نكتشفه لأول مرة . كل شيء فيها مختلف عما رأيناه من قبل . البيوت مختلفة . الشوارع مختلفة . السهرات مختلفة . الناس مختلفون . والجمهور مختلف .

في الريف كان صاحب الفرح يأتي إلينا مباشرة - إلى أبي - للاتفاق على الغناء .

ولكن في القاهرة لا بد من وجود متعهد الحفلات .

ان المتعهد هو الذي يتفق مع الجمهور من ناحية ، ثم هو الذي يتفق مع المطرب أو المطربة من ناحية أخرى . . . ويعد له مكان الغناء ، ويتولى الدعاية له بين الجمهور .

وفي البداية عانينا كثيرا من التعامل مع متعهدي الحفلات . كان أبي طيب القلب خالص النية في تعامله . وكان العمل في القاهرة يتطلب صفات مختلفة . ويظهر أن منظر أبي كرجل ريفي . . . ومنظرى كفتاة صغيرة . . . بالعقال والباطو . . . يظهر أن هذا كان يغري متعهدي الحفلات أحيانا بالضحك علينا .

في البداية مثلا كان صديق أحمد متعهد الحفلات يحضر في الصباح للاتفاق مع أبي على أجر الغناء . الاتفاق يقضى بأن يدفع لى سبعة جنيهات .

وعندما نذهب إلى صالة الغناء في المساء . . . فان صديق أحمد كان يدخلنا إلى المسرح لنجلس خلف الستارة نستعد . ويبدأ صديق أحمد في الشكوى لأبي قائلا : يا خسارة ! مفيش جمهور ! شوف الصالة فاضية ازاي !؟

وعندما يتطلع أبي إلى الصالة من خلف الستار . . . يجد أن الصالة خالية من الجمهور فعلا . لأن صديق أحمد تعمد أن يحضرنا قبل موعد الجمهور بساعة أو بساعتين !

والحل !؟

كان الحل ينتهى دائما بنجاح المتعهد فى تخفيض الاجر المتفق عليه من قبل فى الصباح • فبدلا من سبعة جنيهات يصبح الاجر خمسة أو أربعة جنيهات !

ويوافق أبى بحسن نية ، بينما المتعهد يتمم بصوت مسموع :
ربنا يسهل بقى وما أخسرشى أكثر من كده !!

وعندما نبدا فى الغناء بعد ساعة أو ساعتين •• عندما يفتح الستار •• نفاجا بأن الصالة قد أصبحت مزدحمة بالجمهور الذى لا يجد مكانا !

ونبحث عن المتعهد فنجده •• فص ملح وداب !!

★ ★ ★

على أن هذه المشكلة بدأت تختفى عندما بدأ أبى شيئا فشيئا يكتسب الخبرة فى التعامل مع متعهدى الحفلات بحيث لا نخذع منهم بهذه السهولة •

بدأت المشاكل مع المتعهدين تختفى، لتحل محلها مشاكل أخرى •• مع الجمهور نفسه !

كان الجمهور فى البداية ، يأتى لكى يسمع غناء • انه يأتى أولا لكى يسلى نفسه • يسهر وينبسط ويفرفش •• ويسكر !

وإذا سمع مطربا •• فالغناء لابد أن يتمشى مع مقتضيات السهرة •• يعنى لزوم الفرفشة !

لهذا السبب فان موجة الطقاطيق الخفيفة - الخليعة غالبا - هى التى كانت رائجة فى تلك الايام !

لم يكن هذا لوننا • كنت ما أزال أغنى المدائح النبوية •• والقصائد •• وأصم على التمسك بهما •

ولكن هذا التصميم خلق لى مشاكل كثيرة فى القاهرة •

أذكر أننى كنت فى احدى الليالى - سنة ١٩٢٦ أغنى فى كازينو البوسفور •

ان كازينو البوسفور كان يقع فى ميدان المحطة - ميدان باب الحديد حاليا - بالقاهرة ، وكان رسم الدخول للسهر فى الكازينو خمسة قروش ••

فى تلك الليلة بدأت أغنى - كالعادة - فى الساعة العاشرة مساءً .

ولم تكن هناك آلات تصاحبنى فى الغناء ، كان أفراد التخت هم أربعة ، منهم أبى وأخى خالد ، وكنت مازال أرتدى العقال وبالطو الأزرق .. وأغنى المدائح النبوية والقصائد .

وبدأت فى تلك الليلة أغنى : سبحان من أرسله رحمة لكل من يسمع أو يبصر ..

وبعد قليل بدأ أفراد الجمهور يطلبون منى أن أتوقف عن الغناء وأن أغنى لهم الاغنى السائدة فى تلك الفترة . اغنى خليعة ..

ان الاغنى المنتشرة فى تلك الفترة كانت فى منتهى الخلاعة ، الى درجة أن أغنية « بعد العشا .. يحلى الهزار والفرغشة » مثلاً تعتبر أغنية غير خليعة بمقاييس تلك الايام ! وكان من المألوف أن يقوم أكثر من مطرب أو مطربة بغناء نفس الاغنية ..

المهم .. طلب منى هؤلاء الافراد من الجمهور أن أغنى شيئاً آخر بدلاً من قصيدة : سبحان من أرسله رحمة .

ورفضت ..

استمرت فى الغناء : سبحان من

فى هذه اللحظة بدأت تعلو أصوات نفس الافراد من الجمهور لكى ترغمنى على ألا أستمتر ..

بعد قليل بدأوا يصفرون لمقاطعة غنائى ..

ومرة أخرى استمرت فى الغناء ..

ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد . لقد وقف أفراد منهم وهجموا على المسرح يريدون اغلاق الستار ، فى هذه اللحظة فقط بدأت أفقد أعصابى ..

كانت المسألة هى أن القادم الى الكازينو فى هذا المساء .. يعلم مقدماً من التى ستغنى ، فالاعلان المعلق فى الخارج يحمل اسمى .

وهو يعلم أيضاً لون الغناء الذى سيسمعه .. فهو اللون الذى كنت أقدمه ..



أنور وجدى .. الذى اشترك مع ام كلثوم فى بطولة فيلم (فاطمة) فى احدى الحفلات التى أقامتها نقابة السينمائيين لتكريمهما ..

ويعلم ان الاغاني الخليعة التى يريدنا ، لها أماكن أخرى تغنى فيها ..

فما معنى هذا الصغير ؟!

المهم .. اننى لاحظتها ثرت عندما هجموا على المسرح يحاولون اغلاق الستار ..

فى الواقع اننى شتمت هؤلاء الافراد من الجمهور .. ولم انتبه الا وابى يصفعنى بيده !

كانت اول مرة اتلقى فيها مثل هذه الصفعة من أبى، اول مرة يصفعنى فيها أمام الجمهور ..

وبكيت !

بكيت لأننى على حق .. وابى يعلم ذلك .

ولكن أبى كان على حق أيضا .. لقد كان أوسع منى ادراكا .

ان أبى ضربنى أمام هؤلاء الافراد الثائرين من الجمهور .. لكى يرضيهم ! لكى يهدىء من ثورتهم ! لقد رأى الشر فى أعينهم وهم يهجمون على المسرح متجهين نحوى ..

وخشى أبى أن يحدث لى مكروه . خشى أن يؤذيني هؤلاء
الأفراد السكارى ، ففتوح بمعاقبتى عنهم . كما أنه أراد أن
يلقننى درسا فى الادب ! فمهما كانت الظروف ، لا يجوز لى أن
أشتم واحدا من الجمهور ، لا يجوز لى أن أتفوه بلفظ ناب
واحد .. حتى ولو كان معى الحق فى ذلك ..

و
انسحبت من المسرح فى تلك الليلة .. أجز دموعى ! ..

★ ★ ★

والواقع أن هذا النوع من الجمهور لم يكن يقتصر وجوده
على القاهرة . كان هذا النوع موجودا فى كل مكان . معنى
ذلك أن مقاومة تيار الأغانى الخليعة ليس سهلا ، ولا حتى
ممكنا دائما وربما كان جزءا كبيرا من الجهود الذى بذلته فى
البداية .. موجها لمقاومة اغراء الهبوط الى المستوى السائد من
الاغانى الخليعة ..

وفى البداية لم يكن يمر شهر - ولا حتى أسبوع - الا تواجهنى
مشكلة بسبب عدم غنائى لهذا النوع من الاغانى .

بل ان تصميمى هذا كاد يكلفنى حياتى فى احدى المرات !
كنت أغنى فى احدى القرى ..

وبالتحديد كانت قرية تقع بجوار بلدة ميت العامل فى مركز أجا
بمحافظة الدقهلية .

مكان الغناء هو دوار العمدة . دوار واسع . الجمهور يملأ
الدوار . من هذا الجمهور وجوه أعرفها من قبل . فلقد كانت
المرات العديدة التى غنيت فيها من قبل قد بدأت تشجع هذا
اللون من الغناء الذى كنت أقدمه ، ولكن الى جانب جمهورنا هذا
كان يوجد النوع الآخر من الجمهور . النوع المؤلف .. الذى جاء
يشرب الخمر ويستمتع الى أغانى « بعد العشا .. يحلى الهزار
والفرفشة » ! كان هذا الجمهور يمثل أقلية بسيطة جدا فى الريف
.. ولكنه كان موجودا على أى حال ..

فى تلك الليلة بدأت أغنى قصيدة « سبحان من أرسله رحمة ..
لكل من يسمع أو يبصر » ..

دقيقة وأخرى وأخرى ..

ثم وقف واحد من الجمهور يصيح : ايه النغم ده .. عايزين
نفرش ! ..

واستمرت فى الغناء !!

ولكن نفس الشخص عاد ليوقف من جديد : عايزين نفرش ..
عايزين شوية مياعة .. شوية مواويل .. غنى لنا ياليل يا عين !

ولم التفت اليه . ما زلت مستمرة فى الغناء ..

ولكنه استمر فى مقاطعته لى ..

وعندما حاول عدد آخر من الجمهور أن يسكتوه تكهرب الموقف !

لقد وقف الرجل المخمور وسط الدوار وأخرج من جيبه مسدسا
ولوح به فى الهواء مهددا !!

قال الرجل مهددا الجمهور بالمسدس ! اللى مش عاجبه
يطع بره !!

وفى لحظات كان الصمت يخيم على المكان كله . صمت له رنين !

ونظرت الى الدوار الواسع فوجدته قد أصبح خاويا .. لا أحد
على الكراسى ! الجمهور الذى كان يتزاحم منذ لحظة .. ذاب !

ويبدو أن هذا الرجل كان صاحب سطورة فى القرية دون أن
ندرى .. لقد اكتشفنا فيما بعد أنه ابن العمدة ! واحد من أصحاب
النفوذ فى أى قرية !!

المهم - صمم ابن العمدة بمسدسه على أن أغنى له ما يريد ..

وصممت على ألا أغنى سوى ما أريد ..

وتوزعت نظرات أبى بين وجه ابن العمدة .. وبين مسدسه ..
وبينى ! ..

قال له أبى : معلش يا ابنى .. هدى نفسك !!

ورد ابن العمدة : لازم تغنى ياليل يا عين . لازم تعمل لنا شوية
انبساط وفرقة !!

فقال له أبى : فرقة ايه يا ابنى بس وانت شايل لنا المسدس !
- هو كده !!

قال أبى : حاضر يا ابنى .. حتغنى .. حتغنى كل اللى انت
عايزه ، بس هدى نفسك .. غنى له يابنتى .. أمرنا الله !

وصممت على ألا أغنى !!

لم يكن تصميمي عن شجاعة .. فالمسدس على بعد متر مني
ولكن تصميمي كان عن عناد .. وعن ايمان ..

وبدا المسدس يتململ في يد الرجل وهو يقول بكلمات تلاعبت
بها الخمر : يعنى مابتغيشي !؟

ورد أبى بسرعة : حتغنى يا ابنى .. اصبر عليها بس ..
صبرك بالله ! ..!

و

أنقذتنا عناية الله ..

ففى تلك اللحظة دخل الى الدوار واحد نعرفه . صاحب عزبة
مجاورة للقرية .. جاء فى هذه الليلة ليسمعنى بالصدفة .. عندما
علم فى طريق عودته أننى أغنى هذه الليلة فى تلك القرية .

ولم يحس ابن العمدة المخمور بالرجل .. الا بعد أن خطف منه
المسدس وأوسعه ضربا ! ..!

★ ★ ★

وأعود الى القاهرة ..

ان الجمهور المخمور كان أقلية فى الريف .. ولكنه كان أغلبية
يحسب لها ألف حساب فى القاهرة . والمسألة كالحلقة المفرغة ..
لا تدرى من أين بدأت ، هل العيب فى مستوى الاغانى .. أم فى
انتشار نوع معين من الجمهور ..

وعلى أى حال فلقد كان الدرس الذى خرجت به مبكرا هو ألا
أياس ، هو أن اصمم على نشر اللون الذى كنت أغنيه ، ولم يكن
يدفعنى هذا الى التعصب لما أغنيه .. وانما تطوير ما أغنيه بحيث
يكون مقبولا ، وبشرط ألا أضحي بالمستوى الذى أومن به فى
الغناء ..

شيئا فشيئا بدأ حظى يتحول ..

فى الواقع أن رصيدي السابق من الشقاء والتعب فى الريف بدأ
يصبح ميزة كبرى أنفرد بها ، فحتى تلك الفترة لم أكن قد أصبحت
معروفة بشكل حاسم فى مدينة القاهرة . كان رصيدي كله فى
الريف . لقد غنيت فى مئات من القرى والكفور والنجوع والمدن

الصغيرة ، بحيث أصبح الجمهور الذى يعرفنى جمهورا آخر ، غير الذى تعرفه ليالى القاهرة .

★ ★ ★

ان هذه الظاهرة سببت الحيرة لشركات تسجيل الاسطوانات .
ان اول اسطوانة سجلتها كانت أغنية « مالى فتنت بلحظك الفتاك » . أغنية لحنها لى أحمد صبرى النجريدى . . . وسجلتها فى شركة اسطوانات « صوت سيده » بالقاهرة . ان الشركة سجلت لى هذه الاسطوانة وهى تقدر مقدما أنها صفقة خاسرة . . . لهذا لم أتقاض من الشركة أكثر من ثمانية جنيهات . . . هى كل مستحقاتي عن حقوق تسجيل الاسطوانة .

ثم فوجئت الشركة بأنها حققت فى الاسطوانة أرباحا ضخمة . . . مع أن ثمن الاسطوانة كان عشرة قروش !

كيف حدث ذلك ؟ اننى لم أكن معروفة بعد لجمهور القاهرة . . . فمن هو الجمهور الذى اشترى تلك الاسطوانة ؟

كانت المسألة ببساطة هى اننى أتميز عن مطربات القاهرة بالجمهور الذى يعرفنى فى الريف . وعندما يأتى واحد من هذا الجمهور الى القاهرة فمن الطبيعى أنه سيشتري اسطوانة للمطربة التى سمعها ورأها . . . وأنه لم تكن هناك اذاعة بعد ، ولم تكن مطربات القاهرة المشهورات فى ذلك الوقت يذهبن الى الريف . لم يكن الاعجاب بصوتى اذن هو سبب رواج الاسطوانة ، ولكنه كان مجرد حب الاستطلاع .

★ ★ ★

وشيئا فشيئا بدأ رصيدى يزداد من جمهور القاهرة . . . وبدأت شركات الاسطوانات تضاعف أجرى عن كل اسطوانة . . . ولكن المسألة لم تكن أبدا بمثل السهولة التى أكتب بها الآن . كانت هناك منافسة ، وهى منافسة حادة غالبا . . . ولم أكن أعرف بعد أحدا من كتاب صحف القاهرة . ومع ذلك فان موقف الصحف والمجلات فى هذه المنافسة كان يختلف . . .

أذكر أنه فى مايو سنة ١٩٢٦ نشرت احدى المجلات تعليقا يقول :
« للسيدة منيرة المهديّة أنصار ، وللآنسة أم كلثوم أنصار . . . وكل



فيلم (سلامة) من افلام
ام كلثوم الاولى .

من الطرفين يدعى أن صاحبتة هي ذات الصوت الاجمل .. ولكن ،
من هو الحكم الذى يحكم بالألوية لهذه أو تلك ؟ هو الجمهور
ولا شك .. والآن اسمع .. تدفع شركة بيضاقون للسيدة منيرة
المهدية أربعين جنيها مقابل كل أسطوانة تملأها السيدة .. وتدفع
شركة أسطوانات « صوت سيده » للآنسة أم كلثوم خمسين جنيها
مقابل كل أسطوانة تملأها الآنسة ! .. ومعنى هذا أن اقبال
الجمهور على شراء أسطوانات أم كلثوم أشد من اقباله على شراء
أسطوانات السيدة منيرة .. ولهذا نجد أسطوانات الآنسة أعلى
ثمنا من أسطوانات السيدة ..

انتهت كلمات المجلة .. انها بلا شك تعطى صورة عن تلك الفترة
من سنة ١٩٢٦ .



فيلم (وداد) .. من افلام
ام كلثوم ايضا ..

ولكن ..

لم يمض أسبوع واحد آخر الا وحدث تصرف غريب .. من
نفس المجلة !

★ ★ ★

ان المنافسة الغنائية فى سنة ١٩٢٦ كانت قد تبلورت بحيث
تركزت فى النهاية بين منيرة المهدية وفتحية احمد .. وبينى .

وقد أرادت المجلة المذكورة - هكذا قالت - أن تصل الى رأى
قاطع فى هذه المنافسة . قالت المجلة : « ثارت فى الايام الاخيرة
ضجة حول الغناء والمطربات .. أيهن أجمل صوتا وأيهن أعمق
فنا وأعذب نغمة وأسمى روحا وأدق تصويرا .. الخ . فكتب

كاتب فى (البلاغ) فى هذا الموضوع ، وقام ثان فى (الاهرام) وثالث فى «السياسة» .. وكان مدار كل هذه المقالات هو السيدة فتحية أحمد والمقارنة بينها وبين الأنسة أم كلثوم والخروج من هذه المقارنة بتفضيل الاولى على الثانية .. وتعرض البعض للسيدة منيرة المهدي ولم يحترم درجة الامتياز التى نالتها فى مباراة الغناء المسرحى (أجرتها وزارة الاشغال) فقام ووضعها هى أيضا على المشرحة . أما سوى هؤلاء مثل السيدات نعيمة المصرية وتوحيدة وفاطمة سرى وفاطمة قدرى فلم يعرض لهن أحد بكلمة . ولهذا رأينا أن نقوم باستفتاء حضرات القراء ، وأن نقصر الاستفتاء على هؤلاء المطربات الثلاث اللاتى يدور حولهن الأخذ والرد ، وهن الأنسة أم كلثوم والسيدات فتحية أحمد ومنيرة المهدي ..

« وموضوع الاستفتاء هو :

« أولا : من هى الاجمل صوتا بين هؤلاء المطربات الثلاث .

« ثانيا : من هى التى يؤثر فيك صوتها أكثر من سواها ؟
(يؤثر فيك) معناها هنا (يشجيك) ..

« ثالثا : من هى الاكثر الماما بفن الغناء ..

« رابعا : اذا فرضنا أن هؤلاء المطربات الثلاث كن يغنين فى ليلة واحدة فى أماكن مختلفة .. فأيهن تفضل أن تذهب لسماعها .

هذا ما نشرته المجلة ..

وفى الاسبوع القالى مباشرة قامت بنشر النتيجة ..

كانت النتيجة - كما نشرتها المجلة - هى أن ترتيب المطربات هو :

أولا : فتحية أحمد ..

ثانيا : منيرة المهدي ..

ثالثا : أم كلثوم !

ومهما كانت الدوافع وقتها وراء اخراج النتيجة بهذا الشكل ، الا أننى فى الواقع صدمت من سيطرة الصداقات الشخصية على الصحفيين المتصلين بالوسط الفنى ..

لم أكن اختلط بأحد الكتاب أو الصحفيين . لم أكن أهتم الا بتطوير صوتى وغنائى . مازال هذا رأى الى اليوم . برغم الصعوبات التى خلقها هذا الاسلوب أمامى ..

ولكن المهم أننى اعتبرت أن النتيجة التى نشرتها المجلة صحيحة •
فلتعتبرنى المجلة مطربة من الدرجة الثالثة •• لا يهم •• ولكن المهم
هو ألا أبقي فى الدرجة الثالثة !

ان مثل هذه الاشياء كان من الممكن أن تكون بالنسبة لى حافظا
على اليأس ، بحيث أن أعود الى الريف من جديد •

وكان من الممكن أن تكون حافظا لى على بذل مزيد من الجهود ،
بحيث أبقي وأستمر وأعمل ••

وهذا ما حدث ••

أصبحت أعتبر أن المشاكل ليست صعوبات •• وانما هى تحديات
•• المشاكل ليست أعدارا عن الكسل •• وانما هى مبررات للعمل
•• وفعلا ••

لم يمض وقت طويل قبل أن أقرأ أول مقال أمين عنى كتبه صاحبه
قبل أن يرانى ••

لقد نشر المقال وقتها فى جريدة (السياسة) •• وكان كاتبه
الشيخ مصطفى عبد الرازق •

هذا هو أول مقال صحفى أعتز به فى حياتى الفنية • ومازلت
حتى اليوم أشعر نحوه بوفاء بالغ ••

ولم تمض فترة أخرى حتى كنت قد بدأت فعلا ألتقى بحظى ••
لقد بدأ حظى يتحول مع أغنية « ان كنت أسامح وانسى الأسية »
هذه الاغنية اشترى الجمهور منها نصف مليون أسطوانة !

ولكن سعادتى بدأت تتضاعف بعد ذلك بعدة سنوات عندما كنت
بالاسكندرية جالسة فى كازينو بالشاطبي •• أمام الكازينو كباريه •

فى هذا المساء لم أصدق أننى ! لقد سمعت مطربة تغنى فى
الكباريه قصيدة أبا الزهراء !

ليلتها •• لم أنم حتى الصباح !

لم أنم من فرط سعادتى •• لقد أصبح الجمهور مقتنعا بسماع
« أبا الزهراء قد جاوزت قدرى » •• حتى فى كباريه ! تطور
لا يمكن تقديره فى رأى أبى مبلغ من المال !••



من مذكرات أم كلثوم

أُمِّي وَابْنِي .. وَالشَّيْخُ ابْنُ الْعِلْمِ!

و اضطرت الى الغناء أربع ساعات ..
دون ان يسمعي أحد غير مانتى
كرسى ٠٠ كراسى لا يجلس عليها فرد
واحد ٠٠ كراسى سمعتنى فى صمت بليغ !
(ام كلثوم)

كانت أمى سيدة بسيطة جدا !
لم تكن تعرف القراءة أو الكتابة .. لم تكن متعلمة ..
ولكنها كانت مثالا للسيدة التى تعرف كيف تقوم بواجبها نحو
زوجها ونحو اولادها ..

لهذا لم يتزوج أبى غيرها !

ولم تكن هذه عادة مألوفة فى الريف ، ولا حتى فى أسرتى نفسها
.. كان لى ثلاثة أعمام تزوج كل منهم مرتين أو ثلاثا ..

ولكن أبى كان يقدر فى أمى حكمتها وبساطتها وتفانيها فى تربيتنا
لقد تعلمت منها التواضع .

وتعلمت منها الصدق .

وتعلمت منها الايمان بالله ..

كنا نستيقظ فى الفجر على صوتها - مع أبى - وهى تؤدى
الصلاة ..

ولم نرها فى مرة تختلف مع أبى بصوت مسموع .

ولم نسمعها تناديه بغير « ياشيخ ابراهيم » .

وكانت أمى تساعد أبى بكل ماتستطيع . بل ان أبى عجز مرة
عن أن يجد نقودا تكفى لشراء « كيله ذرة » .. مشكلة .. ولكن
أمى نهضت لتجمع كل مصاعها وتعطيه لأبى حتى يشتري لنا الذرة
فنجد ما نأكله .. و - يادوب .. كان ثمن المصاع يكفى لشراء
كيله الذرة !

لم تكن أمى تهتم بالنقود .. حتى عندما بدأنا نستقر فى القاهرة
وندخر جزءا من دخلى .. كانت تقول : ان النقود تفسد !

وفى كل مرة كنت أسافر فيها مع أبى للغناء كانت تكرر له نفس
المحاضرة « .. والنبي يا شيخ ابراهيم تاخذ بانك من البنت ..
أوعى حد يقول لك هاتها نسيم عندها فى البيت وتوافق . أوعى
تسيبها لوحدها . خلى عينك عليها . أولاد الحرام كثير !
وعندما بدأنا نستقر فى القاهرة لم تكن تنام الا بعد عودتى من
الغناء فى الفجر ..

★ ★ ★

وأمى كانت بسيطة فى فهمها لوسائل التربية ، كنا صفارا أشقياء
- أنا وأختى وأخى - بحيث لا يمر يوم دون أن نلعب بأدوات المنزل
فنكسر بعضها أحيانا ..

ولكن أمى كانت تقول لنا : « .. اللى يكسر حاجة وييجى يقول
لى ياخذ السبعة » !

ان « السبعة » هى سبع كراملات !

وكانت تقول لنا : « اللى يسرق حاجة .. ربنا يسخط وشه
يخليه وش حمار » !

★ ★ ★

.. ولكنى فى مرة حاولت أن أسرق أمى !

لم تكن هى فى المنزل .. منزلنا المتواضع بقرية «طماى الزهايرة»
فى مركز السنبلالوين . ثم مر فى القرية رجل يبيع غزل البنات ..

وتسابق أطفال القرية الى الرجل لشراء غزل البنات ..

وزاغت عيني .. أريد غزل البنات !

ودخلت الى المنزل .. ومددت يدي الى جيب أحد أثواب أمى ،
فوجدت فيه نصف فرنك ..

أخذت نصف الفرنك ، وخرجت أجرى الى بائع غزل البنات .

.. ثم توقفت عن الجرى فجأة ..

تحسست وجهى .. تذكرت أن الله سيحول وجهى الى وجه
حمار كما كانت أمى تقول لنا !

وعدت الى المنزل ، ثم أعدت النصف فرنك الى مكانه . وخرجت
من جديد أتفرج على الاطفال وهم يشتررون غزل البنات .
ولكن منظر غزل البنات أغراني من جديد باعادة المحاولة .
عدت الى المنزل . لأجد أمى قد عادت من الخارج .

فى هذه اللحظة لم أتنبه الا وأنا أعترف لها بكل ما فعلت !
استمعت أمى الى اعترافى بارتياح كبير وهى تقول : الحمد لله .
قالتها كما لو كانت قد أنقذت وجهى فعلا من التحول الى وجه
حمار !

ثم أعطتنى هى النصف فرنك لاشترى منه غزل البنات !

★ ★ ★

وكانت أمى تحب شهر رمضان جدا . وطوال الشهر لم نكن
نسمع سوى آيات القرآن والاحاديث النبوية .

وعندما أصبح لنا منزلنا الخاص فى القاهرة كانت ترفض أن
تقوم « الشغالات » بخدمتنا ونحن على مائدة الافطار . كانت تصر
على أن نجلس جميعا - جميع من فى المنزل - لتناول الافطار معا .
وكانت تربي اولاد أختى بنفس الطريقة .

لم تكن توافق على خروجهم لاستذكار دروسهم بعيدا عن البيت .
وطوال مذاكرتهم كانت تصر على أن تظل ساهرة لخدمتهم .
وكانت ترفض أن تغتاب أحدا ، أو تتكلم عن أحد بسوء .
فى الواقع أنها سيدة عظيمة .

فبفضلها هى تحولت طفولتنا من أيام شقية الى أيام سعيدة .
من أيام فقيرة . الى أيام غنية .
ان طفولتى لم تختلف عن طفولة الكثيرين من أبناء بلدى . ان
الطفولة قد تقترن فى أذهان الكثيرين باللعب ، بالحنان ، بالمرح ،
بالعروسة الحلاوة ، بالجنيه العيدية .

ولكنى عندما أتذكر طفولتى تقفز الى ذهنى أشياء كثيرة : البرد
المطر، الفقر ، الطرحة السوداء ، الشاي الثقيل ، الجبن القريش،
الثروة التى كانت قرشا ، العظام التى كانت لحما ، الركوبة التى
كانت حمارا ، الحنان الذى كان أبى ، الرحمة التى كانت أمى .

أتذكر أبى - رحمه الله - حينما كان يواجه مشكلته الوحيدة كل شهر : كيف يوفق بين مرتبه الشهري - الذى كان مجرد عشرين قرشا كما قلت من قبل - وبين أعباء أسرة كاملة أصغرها أخى خالد وأنا . وعندما أسخلى أبى الكتاب ، كانت المشكلة هى من أين يأتى بالقرش الصاغ الذى كان يجب أن يدفعه كل أسبوع لفقى الكتاب .

أتذكر هذا كله عندما أتذكر طفولتى . أتذكر أياما فقيرة بسعادة ، شقية بفخر .

فمع تقدم سنوات طفولتى تركزت حياتى فى ثلاثة أشياء . لقد كانت الاسئلة الثلاثة التى تشغلنى فى كل لحظة من تلك الايام هى :

أولا - هل أجد طعاما ؟

ثانيا - هل أجد مأوى ؟

ثالثا - هل .. أغنى ؟

فى تلك الايام ، كان كل شئ فى حياتى يدور حول تلك الاسئلة الثلاثة . حياتى نفسها كانت حصيلة لتلك الاسئلة الثلاثة . عندما كنت أعمل ، أكل ، أنام ، أقرأ ، أسير ، أركب ، أشتري ، أسافر ، أسمع ، أتعلم .. فان هذا كله كان يتم بهدف واحد : أن أغنى بطريقة أفضل . ان أفهم فى وقت أقل . أن أنقل عواطفى لمستعمى بشكل أرق ..

كانت هذه هى حياتى .. منذ اليوم الذى بدأت أتعلم فيه الغناء وعمرى خمس سنوات ، الى اليوم الذى بدأت فيه التقى باعجاب الجمهور ..

على أننى وراء كل نجاح حققته ، كنت أتذكر دائما شخصا واحدا هو صاحب الفضل فيه .

هذا الشخص هو : أبى !

كان أبى رجلا فقير الثقافة .. معدم الثروة . ولكنه أعطانى أكبر ثروة . أعطانى حنانه . أعطانى اهتمامه . أعطانى اصراره على أن أنجح .. وأن أتعب قبل أن أنجح .

ان أبى علمنى درسا هاما . علمنى ان النجاح - وليس ثمن النجاح - هو المهم .



آخر صورة للفنان
عبد السلام النابلسي
التقطت له في حفل
لتكريم ام كلثوم .

ولقد تعلمت من أبي أشياء كثيرة .. غير مجرد الغناء !

كان أبي يتمسك دائماً بأن يؤدي واجبه . في الواقع أن ضميره كان في حالة صحوة مستمرة . وبسبب يقظة ضميره هذه ، اضطرت مرة الى الغناء في حفل عام .. بلا جمهور ! اضطرت الى الغناء أربع ساعات .. دون أن يسمعي أحد غير مائتي كرسي ، كراسي لا يجلس عليها فرد واحد . كراسي ظلت تسمعي لمدة أربع ساعات في صمت بليغ !

حدث هذا في سنواتي الغنائية المبكرة في الريف .

لقد اتفق صاحب الفرح مع أبي على أن اذهب الى الغناء في قريته بمركز السنبلالوين . وأعطى لأبي أجرى عن الغناء : خمسين قرشا ..

وفي الليلة المحددة ركبت الحمار سبع ساعات قبل أن أصل الى القرية ..

وعندما دخلنا القرية وجدنا السرادق معدا ، والكلوبات مضاءة .. ولكن بلا جمهور !

لم يكن هناك شخص واحد .. ولا - حتى - صاحب الفرح !
لقد تصادف أن الجو في تلك الليلة كان في منتهى البرد . ليلة
من ليالى شهر أمشير ! .. وفضل الناس الا يغادروا بيوتهم ..
« حيسموا مين يعنى ؟! صاح عبد الحى .. والا عبد اللطيف
الينا » ؟ !

وذهب أبى الى صاحب الفرح ليعيد اليه الخمسين قرشا ..
ولكن صاحب الفرح رفض . قال لأبى : « .. ياسيدى كانها
زكاة » ! قالها وانصرف !

وأسقط فى يدي ..

ماذا أفعل ؟!

وكان رد أبى : لازم تغنى !

- أغنى لمين ؟!

- مش مهم .. لازم نخلص ضميرنا !

- صح .. ولكن مفيش ناس .. مفيش ولا حتى واحد
أغنى له ..

- برضه مش مهم .. لازم نغنى ونؤدى واجبنا !

.. وفعلا ! ..

وقفت أغنى فى هذا الحفل .. دون أن يسمعنى أحد !

ولكنها كانت ليلة ممتعة ! انها الليلة الوحيدة التى غنيت فيها
بالريف .. دون أن تقاطع الخناقات غناءنا !

فبدلا من أن يكون محصول الليلة ثلاث ساعات خناق ونصف
ساعة غناء - كما كانت العادة - أصبحت الليلة غناء فقط ..
ولكن بلا جمهور !!

★ ★ ★

وكان أبى بسيطا فى حرصه على اعطائى مظهر المطربة الكبيرة
.. وأنا غير مشهورة بعد !

فبعد سنوات من مطلع حياتى الغنائية .. استطعنا أن نستبدل
بركوب الحمير ركوب القطارات .. فى سفرنا للغناء بالقرى والمدن
الصفرة ..

ولكننا كنا مانزال نركب بالدرجة الثالثة فى القطار ..

وقبل أن يصل القطار الى البلدة التى سنغنى فيها بدقائق ، كان
أبى يصر على أن نغادر مكاننا فى الدرجة الثالثة .. وننزل الى
المحطة من باب الدرجة الاولى .. حتى لا يرانا أصحاب الفرع
خارجين من باب الدرجة الثالثة ، فيتصوروا أننا مطربة صغيرة !

★ ★ ★

وعندما جننا الى القاهرة اول مرة أصر على أن نسكن فى فندق
جوردون هاوس بشارع فؤاد . فندق غال . ويصر على أن يأتى
لنا الطعام جاهزا من محل «سان جيمس» .. الذى كان من أغلى
محلات القاهرة ..

فى الواقع أن أبى كانت تدفعه فكرة رئيسية .. وهى الحرص
على اعطائى كل مظاهر النجاح . وكان فى سبيل ذلك ينفق كل
دخلنا ..

فعندما كنا نساغر الى الاسكندرية للغناء – بعد سنوات طويلة
من عملى – كان أكبر مبلغ أتناقضاه فى ذلك الوقت هو خمسة
عشر جنيها ..

وفى اليوم السابق على السفر كان أبى يأخذنى الى محلات
« هانو » بالاسكندرية لكى أشتري فساتين جديدة بكل الخمسة
عشر جنيها .. ثم يدفع بعد ذلك أجر السفر الى الاسكندرية من
جيبه !

وعندما انتقلنا من السكن فى شارع قوله بحى عابدين فى
القاهرة .. أصر على أن نسكن فى شقة فاخرة بعمارة بهلر فى
حى الزمالك . شقة تضم سبع حجرات وثلاثة حمامات ، ثم
طباخا لاعداد الطعام . شقة غالية ايجارها خمسة وعشرون
جنيها ، وهو مبلغ مرتفع جدا فى ذلك الوقت ، ويمثل عبئا ماليا
باهظا بالنسبة لنا .

★ ★ ★

وكان والدى واسع الافق بعيد النظر رغم تعليمه المحدود الذى
اقتصر على تعلم القرآن وترتيله . وبعض التدريبات التى كان

بفطرتة يصر على أن أقوم بها .. تبينت فيما بعد أنها تطبق في
مدارس الكونسرفاتوار الحديثة .
.. فمثلا

كان أبى يصر على أن أتناول أطعمة معينة ومشروبات معينة
.. منها مثلا مشروب عبارة عن خليط من البيض النىء وسكر
النبات واللبن الساخن .

وكان يصر على أن أنام مبكرا ، وأستيقظ مبكرا .. فى الايام
التي لا يكون عندى فيها غناء .

وكان يصر على أن أمارس يوميا بعض الالعاب الرياضية
اللازمة لتوسيع الصدر وإطالة الانفاس . لقد أحضر لى مثلا
« صاندو » بسلك واحد فى السنة الاولى ثم سلكين فى السنة
الثانية ثم ثلاثة .. وهكذا .

ولذلك فان كطفى الآن أعرض من المقاس العادى لجسمى ..
وكان أبى لا يالو جهدا فى تعليمى ..

فبمجرد أن بدأنا نستقر فى القاهرة ، وبدأنا نقيم فى شارع قوله
بحى عابدين أحضر لى أبى الأستاذ محمود رحمى لكى يعلمنى
العزف على العود . كان رحمى من أحسن المتخصصين فى
العزف على العود . وكان أبى يطلب منه أيضا أن يدربنى على
غناء أكبر عدد ممكن من التواشيح .. لا لكى أغنيها ، بل لكى
تكون أرشيفا غنائيا أحتفظ به فى عقلى .

وكان محمود رحمى يظل يدربنى طوال النهار فى حضور أبى .
وكان أبى يدفع له ثلاثة جنيهات كل شهر ، وهو مبلغ مرتفع
بمقاييس تلك الايام .

وكنت حتى تلك الفترة ما ازال أغنى وأنا ارتدى العقال !

وكان أبى هو صاحب فكرة ارتدائى العقال عندما بدأت أغنى
فى الريف .

كان يرى أولا أن العقال زى جاد يناسب ما كنت أغنيه من
القضائد والمدايح النبوية .

ويرى ثانيا أن منظر فتاة تغنى ليس منظرا مألوفا فى الريف .
فالعقال والبالطو الاصفر هما حل وسط فى رايه :



ام كلثوم مع احمد
علام في فيلم د و داد

ولكن هذه الاسباب لم تعد ضرورية عندما بدأت أستقر في
القاهرة ، لأن منظر فتاة تغنى كان شيئاً مألوفاً في القاهرة .

وأبى كان أول من تحمس عندما فكرت في التخلي عن الغناء
مع التخت القديم واستبداله بالغناء على الآلات الموسيقية . فحتى
سنة ١٩٢٦ ، لم تكن هناك موسيقى تصاحبني في الغناء . كان
يفف معي على المسرح أربعة فقط في زى المشايخ ، منهم أبى
وأخى خالد .

وكانت هذه الطريقة لها معجبوها الذين يتزايدون كل يوم .

•• ولكنى كنت أريد أن أتطور .

والأهم من ذلك أنني أريد أن أتطور بإرادتى ، قبل أن أكون

مرغمة على التطور .

وقلت لأبى اننى أفكر في الغناء على الآلات الموسيقية .

وتحسس أبى • ولكنه أصر على نقطة هامة • قال انه لا يريد أن تكون المسألة تطورا والسلام • وانما يجب أن يكون هذا التطور قويا • لا يريد أن يصاحبني « تخت » موسيقى والسلام •• وانما الا يكون هذا التخت مماثلا لتخت العوالم !

•• وفلا ، دفع أبى اكبر ما يمكنه لكى يحقق فكرته •

لقد بدأت أغنى بمصاحبة أوركسترا لأول مرة فى مساء خميس ٧ اكتوبر سنة ١٩٢٦ • وكانت أول أوركسترا موسيقية اتفق معها أبى تضم الاساتذة محمد العقاد ، وهو من أمهر عازفى القانون وقتها ، والاستاذ سامى الشوا على الكمان ، والاستاذ محمد القصبجى على العود •

وفى أول ليلة غنيت فيها مع الاوركسترا نجحت التجربة نجاحا هائلا ، ودفع لى صديق أفندى متعهد الليلية خمسين جنيها عن الليلة الاولى فقط ، ثم وقع معى عقدا بدفع خمسة وثلاثين جنيها عن الليلة بعد ذلك •

وكان أبى يدفع الكثير لتنفيذ اصراره على الاستعانة بأحسن الموسيقيين •

كان يدفع لمحمد العقاد ثلاثة جنيهاً ونصف جنيهاً عن الليلة الواحدة • ولسامى الشوا جنيهاً ونصف جنيهاً ، ولمحمد القصبجى جنيهاً • فى الواقع أن الصحف أجمعت وقتها على تسمية هؤلاء الثلاثة بـ « أساطين الموسيقى الشرقية » •

فى الواقع أن هذه - وغيرها كثير - كانت تؤكد حقيقة كبيرة كنت المسها من أبى ، وهى اصراره الدائم على أن أنجح دائماً •• مهما تحملنا من تكاليف • اصراره على التطور لا يكفى أن يكون مجرد تطور •• بل من الضرورى أن يكون تطورا الى الاحسن •• والا فلا داعى له !

★ ★ ★

•• ولكنى مع هذا كنت أختلف مع أبى فى بعض الاحيان !

لقد عارضت أبى مرة واحدة • عارضته بشدة • ولكنها كانت المرة الوحيدة التى صفعنى فيها صفعة ساخنة !••

ذهبنا الى البنك العقارى ••

في رأس البر ..
صورة لام كلثوم عنه
الشاطيء الذي اعتادت
ان تستجم فيه .



كان البنك يبيع أرضا بالمزاد العلني وقاء لدين متعلق بهذه
الارض . مساحة الارض تزيد على مائتى فدان .

وفي المزاد قام محام من المنصورة بشراء مائة وثمانية أفدنة
من الارض المعروضة للبيع .

وأراد أبى أن يشتري خمسين فدانا من هذا المحامى .

ولكن الارض كانت محملة بديون كثيرة ، وهى ديون تعطى
الدائن حق تتبع الارض فى يد أى مالك لها .

لهذا رجوت أبى الا يشتري الخمسين فدانا الا بعد أن يسدد
المحامى كل الديون المتعلقة بها ، لان الارض هى التى تضمن
الوفاء بديونها ..

ولم يتمسك أبى بالشرط الذى طلبته منه .

ولكننى صممت على كتابة هذا الشرط فى العقد .

كانت حجتى بسيطة .

ان أبى شرب نفس المقلب مرتين من قبل .

فى مرة اشترى أرضا باسمى دون أن يشترط وفاء المالك الاصلى بالديون المتعلقة بالأرض . لقد اكتفى بكلمة شرف من المالك .

ان المالك وعد أبى بأنه سيدفع الديون خلال عدة أشهر . واعتبر أبى أن هذه الكلمة كافية ، ثم طلب منى توقيع العقد ، فوعدت . وقبل أن تمر شهور قليلة ، فوجئنا بالحجز على الأرض وفاء للديون التى لم يسدها المالك الاول . وخسرنا الأرض . . . والمال الذى دفعناه ثمنا للأرض .

★ ★ ★

.. وتكررت هذه الحكاية مرة ثانية !

لذلك ، فعندما أراد أبى - للمرة الثالثة - أن يشتري أرضا، صممت فى هذه المرة على اننى لن أوقع العقد الا اذا نص على مسئولية المالك الاصلى فى الوفاء بالديون .

ان الأرض التى ضاعت منا مرتين من قبل كانت أقل من عشرة فدادين . .

ولكن الأرض التى نشترتها هذه المرة هى خمسون فدانا . والأهم من ذلك اننى أشققت من أن يضيع ما ادخرناه فى عشر سنوات مرة أخرى فى غمضة عين .

ان الثمن الذى كنا سندفعه فى المرة الثالثة هذه ، كان حصيدا عملى وعمل أبى طوال عشر سنوات كاملة حتى سنة ١٩٣٥ . . حصيدا كفاح شاق وطويل استمر طوال السنوات المبكرة من عملى الفنى . سنوات أعتز بها . وبعد هذا المبلغ كان على أن أنتظر عشر سنوات أخرى على الأقل حتى ادخر مبلغا آخر من جديد .

.. المهم

استمرت المناقشة تجرى بين أبى وبينى فى البنك العقارى . . وفى حضور عدد من الناس ، من بينهم مالك الأرض الذى يعمل محاميا فى المنصورة .

ولكن واحدا من الحاضرين مع المالك اثار اعصاب أبى على
بدرجة كبيرة .

ولم انتبه الا وهو يصفعنى بقسوة .

ولم أبك هذه المرة . لقد تغلب عنادى على عواطفى .

وقلت لأبى : أما الآن .. أما بعد هذه الصفة .. فانى لن
أوقع العقد أبدا الا اذا نص على هذا الشرط ! الآن .. لن
أقبل كلمة شرف من المالك . لن أقبل سوى شرط مكتوب ..
.. وفعلا ! ..

اضطر المالك فى النهاية الى توقيع العقد متضمنا الشرط الذى
أصرت عليه .

و .. لم يفاتحنى أبى فى هذا الموضوع الا بعدها بسنة كاملة .

قال لى : لقد كان معك الحق يوم اختلفت معى بشأن الارض .
لقد ذهبت اليوم الى بنك مصر فأخبرنى بأنه كان سيحجز على
الارض وفاء لديونها القديمة .. مما اضطر المالك السابق الى
أن يقوم بتسديد ديونه .. وأصبحت الارض ملكا لنا من تاريخ
الوفاء بالديون(*) .

★ ★ ★

ان امى وأبى هما صاحبا الفضل الاول على فى حياتى .

أما الثالث ، فهو الشيخ أبو العلا .

لقد تحدثت عن الشيخ أبو العلا من قبل .

ويكفينى أن أقول انه جعلنى لأول مرة أفهم معنى ما أغنيه .

عندما أقيمت فى القاهرة لأول مرة كنت أسكن - مع والدى
وأخى خالد - فى فندق جوردون هاوس ، كان للفندق شرفة تطل
على شارع فؤاد .

وكان الشيخ أبو العلا يظل يغنى لى فى الشرفة ، ويدربنى
على الغناء ، طوال الليل . لم يكن يتوقف الا فى الصباح ..
عندما يبدأ الترام فى السير !

(*) تبرعت أم كلثوم بكل اراضيها لافراد اسرتها .

والحقيقة أن الشيخ أبو العلا لم يحصل على ما يستحقه من الشهرة .

كان التيار السائد وقتها هو تيار الاغاني الخليعة . ولم يكن هذا لونه . كان أبو العلا يصر على غناء الشعر العربي الاصيل .

وأحيانا كان الجمهور يعامله بقسوة !

لقد أنزله الجمهور مرة من على المسرح فى كازينو اليوسفور، لكى يستمع الى عبد اللطيف البنا بدلا منه !

ولكن الشيخ أبو العلا كان يتحمل هذه المصاعب . . ويضحك منها .

وحتى عندما بدأ المرض يتردد عليه لم تخفف الابتسامة من وجهه .

لم تخفف ابتسامته . . حتى عندما عرف حقيقة مرضه .

ولم تخفف ابتسامته . . حتى عندما أصيب بالشلل .

ولكن الموت كان أكبر منه . لقد هزمه فى النهاية ، وسحب منه تلك الابتسامة التى لن انساها .

مات الشيخ أبو العلا فى مساء الاربعاء ٥ يناير سنة ١٩٢٧ .

لقد كان الشيخ أبو العلا والدا ثانيا لى . ولن يقل وفائى وامتنانى له ، عن وفائى لأمى . . وأبى . .

★ ★ ★

عند هذا الحد انتهت مذكرات ام كلثوم . من الفصل التالى

تبدأ مذكرات اخرى . مذكرات « عن » ام كلثوم وليست منها ، مذكرات منى عنها . .



عندما تغنى أم كلثوم

أم كلثوم التي يعرفها الناس

« ٠٠ التي كانت الارض سنيها
والسماء حياتها والنجوم مستمعها »

كل شخص فى مدينة طنطا يبدو عليه خارجا
مساء الخميس من منزله .

« هذه ليلتنا الكبيرة » .. هكذا قال لى مدير الفندق قبل
أن تغادره .

الناس بدأوا يتحركون فى الشوارع ، واحد هنا ، واحد هناك ،
هناك كثير من الضحكات والتحيات حولنا . رجل يتمتم لزميل له
فى صوت خفيض مشيرا نحونا : « .. يا ابنى دول من مصر .
دول يظهر من سماعة أم كلثوم ! »

لقد ذهبنا الى طنطا لأشاهد هذا الحفل كمجرد نموذج لحفلات
أم كلثوم . ولكنه فى الواقع لم يكن يختلف عن أى حفل آخر
لها .. الا فى المكان !!

لا تكاد تمر دقيقة من الزمن ، أو مائة متر من السير ، دون
أن تسمع اسم أم كلثوم على الألسن . ان مدينة طنطا بدت فى
ثوب آخر وشكل آخر هذه الليلة . فرح . ان طنطا - من النظرة
الاولى - قد أعدت نفسها لهذه المناسبة .

وفى هذا المساء بدأت طنطا تعبر عن عواطفها نحو أم كلثوم ..
عواطف تدخرها طنطا لهذه المناسبة منذ زمن طويل مضى . هذا
واضح من كل هذه الانوار . كل هذه الزينات . كل هؤلاء
الناس .

مظاهر الفرحة والزينة تقود كلها الى مكان واحد : الاستاد
الرياضى . هذا هو أضخم مكان تملكه طنطا . لهذا اختارته
المدينة مكانا لحفل أم كلثوم الليلة . سرادق .. فى الهواء الطلق
.. مضى .. منظم .. واسع . خمسة آلاف كرسي .

بعض الكراسى الامامية مازال خاليا . معظم الكراسى تم شغلها
الضحكات تأتي من الخلف . ضحكات يقظة . الجميع يبدو عليهم

أنهم استعدوا مبكرا لهذه الليلة • والجميع يبدو عليهم أنهم ناموا عدة ساعات بعد ظهر اليوم استعدادا للسهر مع أم كلثوم • • الجميع ظلوا يديرون أنفسهم طوال النهار على الاستماع لأم كلثوم طوال الليل !

داخل السرادق يتزايد عدد الداخلين • • ويقل حجم الضوضاء •
داخل المسرح تجلس الفرقة الموسيقية خلف الستارة المغلقة •
من وراء الستار تستطيع أن تسمع ذلك الالتحام المدهش للاصوات الانسانية • حول الفرقة تتصارع باقات الورد لتحتل مكانها فوق المسرح •

ومن ركن جانبي خلف الستارة تستطيع أن ترى الجمهور :
ياه • • كل هذا العدد !؟

ان ويليام ليرد كتب في القرن السادس عشر يقول : « مادام الغناء طيبا بهذا الشكل • • فأتمنى من كل الرجال أن يتعلموه »
• • معه الحق !

ولكن نصف جمهور الليلة نساء • اننى أستطيع بصعوبة أن أسمع خلفى سيدة تقول لزميلتها التى رأتها بالصدفة : انت فين يا حبيبتي ؟ ايه الفستان الجئان ده ؟ طبعا اشتريته مخصوص علشان حفلة أم كلثوم • هى • • هى • • هى • • !!

★ ★ ★

بعيدا عن المسرح ، والجمهور ، تستطيع أن ترى أم كلثوم وهى قادمة فى الطريق • لقد دخلت من الباب الخلفى للسرادق • باب سرى • باب يؤدي الى غرفتها الخاصة فى المسرح •

ومع ذلك فان عددا من الجمهور تسلل الى هناك فى انتظار أم كلثوم • انهم يرغبون فى مصافحة أم كلثوم ، أو حتى رؤيتها • أمنية •

خلال لحظات كان الجمهور قد تزاخم حول أم كلثوم • أين هى ؟ لا أستطيع أن أراها •

ونظرا لأن وجيه أباطة محافظ المدينة قد تنبا بذلك مقدما • • فقد بدأ يروج الجمهور أن يفسح الطريق • لحظة • • ولحظة • • ثم بدأ الجمهور يستجيب للرجاء • بدأ يفك الحزام من حول أم كلثوم • وبدأت أم كلثوم تخرق هذا الحصار الجماهيرى كما لو كان حزاما من الاسباجيتى !



« هل رأى الحب سكارى .. مثلنا » ؟

.. ونحن فى مساء الخميس .

ان أم كلثوم تقيم حفلاتها دائما يوم الخميس . لقد أصبح لديها كومة من ايام الخميس هذه . كومة تشكل رصيدها .. ويعرفها الناس من خلالها . ان عمرها كله هو مجموع ليالى الخميس التى غنتها . حصيلة فنها كله تنفقها ليلة الخميس . فى تلك الليلة يقول لسانها سرا « اغنى واغنى واغنى .. وأورى الخلايق فنى » . من اجل هذه الليلة تعيش أم كلثوم . ان الموهبة هى فن تنمية الموهبة . وموهبة أم كلثوم تتركز فى ان كل شئ فى حياتها يعمل بهدف تنمية موهبتها التى تبديها فى غنائها ليلة الخميس .

★ ★ ★

وعندما بدأت أم كلثوم بدأ صحفى اجنبى يستمع اليها من خلالي . قال لى : لا أدرى سر هذه العلاقة بين الجمهور وبين أم كلثوم . انها لا تخرج . لا تبتكر . لا تخلق . انها ليست كاتباً ، ولا مؤلفاً ، ولا ملحناً . انها مجرد سيدة تغنى . تغنى الحان الآخرين وكلمات الآخرين .

وقلت له : نعم • هي سنييدة • وهي تغنى • ولكنها فنانة
حينما تغنى • ساحرة عندما تكون فنانة • قمة عندما تكون
ساحرة • متواضعة حينما تكون فى القمة • انسانة حينما تكون
متواضعة •

أم كلثوم هى هذا كله • راقبها مثلا وهى تغنى ••

ان أم كلثوم حينما تغنى ، فانها لا تكون مجرد مطربة تقف
أمام ميكروفون فوق مسرح بين جمهور داخل صالة وسط مدينة •

انها تجعل الميكروفون يتراجع والمسرح يهتز والجمهور يقفز
والمدينة تسهر والبلد يرقص والفن يغنى • انها تصنع من صوتها
وعواطفها ومشاعرها شبكة ضخمة تمسك بهم - بمستمعها -
بحيث يصبح كل شئ فيهم كالآخر • كل واحد مندمج فى الآخر •
نحن ، أنت ، هم ، هو ، كل شئ يفقد شخصيته ويجد معنى
جديدا وعواطف جديدة لمدة محدودة من الزمن •

ان المستمع يقبل معها على الحياة فى بداية غنائها - رباعيات
الخيام - حينما تنادى : « هبوا أملأوا كأس الطلى قبل أن ••
تملا كأس العمر كف القدر » •

هكذا يطرب معها الجمهور • دعوة صريحة للاقبال على الحياة
والتمسك بها • الجمهور مقتنع •

ومع ذلك ، لا تكاد تفوت ساعة ، حتى يقتنع الجمهور بشئ
آخر • يقتنع بغنائها متوسلة الى الله : « ان لم أكن أخلصت فى
طاعتك •• فاننى أطمع فى رحمتك » •

لقد رغب الجمهور فى الحياة منذ ساعة ، ثم طلب الرحمة
منذ ساعة • رغب الجمهور فى الخمر منذ لحظة ، ثم استغرب
ذلك بعد لحظة • استغفر الله •

ولقد كان الجمهور مقتنعا بما غنته أم كلثوم فى كل مرة • ان
أم كلثوم غنت رباعيات الخيام • وهى فى غنائها جسمت نصف
الجنة ، ولكنها عادت بعد قليل تحذر بنصف الجحيم • النتيجة :
خرج الجمهور بأذن من بداية القصيدة ، وأذن مع نهايتها •
خرج بعين فى الجنة ، وعين فى النار • بقلب يرغب • وقلب
- هو نفسه - يرجو المغفرة • سبحان التواب الرحيم •

وتستطيع أن تراقب الجمهور بطريقة أخرى ، الجمهور يقفز
فى بداية عمر الخيام • الجمهور يصيح ، يهتف ، يصفق •

وفى نهاية القصيدة فان الجمهور مازال يصفق ، ولكن بعد أن
جلس على الكراسى . انه يصفق ، انه يتحسر . انه يصفق بحسرة .

★ ★ ★

والجمهور بالنسبة لأم كلثوم هو جزء من غنائها . ان دوره
رئيسي جدا . . تماما كدور الملحن والمؤلف والعاازف . غناء
أم كلثوم هو أحلى طرب يسمعه هذا الجمهور . وتصفيق الجمهور
هو أحلى أغنية تسمعها أم كلثوم . لو لم يوجد هذا الجمهور
ما كانت ستوجد أم كلثوم . ولو لم توجد أم كلثوم ما كان
سيوجد هذا الجمهور . فى الواقع لا يمكن تصور أم كلثوم بغير
هذا الجمهور ، ولا هذا الجمهور بغير أم كلثوم . الشيء وظله .
الصوت وصداه . الشهيق والزفير . كلاهما يكمل الآخر .
يفسر الآخر . جزء من الآخر .

لقد تخصص هذا الجمهور فى سماع أم كلثوم . . ولكن
الحقيقة الأخرى . ان أم كلثوم تخصصت هى أيضا فى «سماع»
هذا الجمهور . ان أم كلثوم تحاول أن ترضى ذوق كل مستمع .
بالطبع هى لا تفعل . لا تستطيع . لا يمكن . مستحيل . ومع
ذلك فهى تحاول .

ان أم كلثوم – قبل أن تغنى بلحظات – تتطلع الى الجمهور من
خلف الستار . نظرات سريعة فاحصة . مساء الخير أيها الجمهور!
كل صيحة من الجمهور لها معناها الخاص فى قاموس أم كلثوم .
انها تتعامل مع جمهورها بشفرة سرية . بكلمة . بنظرة .
باشارة . بهمسة .

★ ★ ★

وعندما تبدأ فى الغناء فانها تبدأ فى اطلاق بالونات اختبار
غنائية . أه هنا . . وآه هناك . حذف هنا . . وإضافة هناك .
وللحظات قليلة فان أم كلثوم – بينما تغنى – تتبادل الأدوار
مع الجمهور . هو يغنى ، وهى تستمع ! هو – أقصد – يصفق
. . وهى تبتهج . هو يحيى ، وهى تتدلل . علاقة تقوم على
الايقاع . ايقاع الحياة : خذ وهات . ايقاع البحر : مد وجذر .
ايقاع السماء : نور وظلام ، ايقاع الرقص : هى وهو . أنت
فى هذا الحفل تشعر بنفس الايقاع : غناء من أم كلثوم . وتصفيق
من الجمهور . خذ وهات . خذ غناء . . وهات سعادة .



ام كلثوم في حديث اذاعي مع ساميه صادق . أثناء حفلها في مدينة طنطا



« القلب يشق كل
جميل »

في هذه اللحظات .. تجد أن عيني أم كلثوم وأذنيها متفرعة
تماما لسماع الجمهور . انه يهلل .. هي تتوقف .. انه يطرب
.. هي تستمع . انه يطلب التكرار .. هي تعيد . انه يلح ..
هي تعيد مرة أخرى . انه يقذوق .. انه .. انه يصفق لأم كلثوم .

مرة أخرى تستمع أم كلثوم الى التصفيق . انها هنا تحاول
أن تصبح كالمكتشف : كل شيء أمامها له معنى ورمز . تصبح
كقبطان سفينة : يستدير دائما ليكون مع الريح . تصبح كجهاز
سيموجراف : كل هزة طرب تسجلها . تصبح ككيميائي ! اذا
اضفنا كذا لكذا .. تكون النتيجة استمتاع الجمهور . تصبح
كالاطباء الصينيين القدامى : تعرف كيف تقيس كل نبضة قلب .
ان أم كلثوم بالنسبة لهذا الجمهور هي تاريخ . انها تاريخ
اسلوب كامل في الموسيقى والغناء والطرب . تاريخ ينتظر



في تونس .. بين الجماهير .. بعد ان افتحت
شارعا اطلقوا عليه ((نهج ام كلثوم)) .

ام كلثوم حتى يطوى صفحاته . حتى ينصرف . فالغناء الفردي
- بهذا الشكل .. بهذا الاسلوب .. بهذه الطريقة - والطرب
الغنائى .. بهذه الآلات ، بهذا التكرار .. كل هذا كان من
المفروض ان ينتهى منذ سنوات طويلة مضت . ولكن ام كلثوم
أضافت ملحقا لهذا الفصل المنتهى فى تاريخ الموسيقى الشرقية .
ام كلثوم أعادت الشباب للموسيقى الشرقية . هى نفسها دواء
للشباب . جرعة للشباب . هى نفسها أطالأت أنفاس هذا النوع
من الغناء بعد أن تقطعت أنفاسه منذ زمن طويل .

وام كلثوم أنفاسها طويلة غنائيا . طويلة .. مستمرة ..
مرتفعة . انها أيضا تجد أن الجمهور يطلب منها ما لا يقبله من
غيرها . استثناء . أن الكلمات التى يقرأها الناس فى دقيقة ،
ويغنيها المطربون فى عشر دقائق .. تغنيها ام كلثوم فى ساعتين .
المقطع الواحد تعيده مرة ومرة و .. ثماني مرات ! فعلا ثماني
مرات ، كما حدث فى أغنية « أنت عمرى » . وفى كل مرة

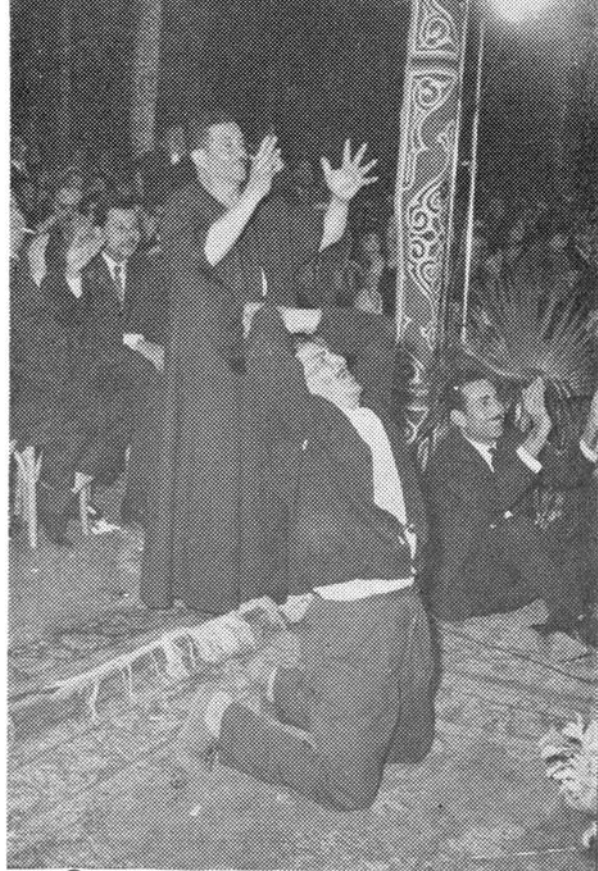


ودارت الايام
ومرت الايام

يزيد انفعال الجمهور ولا يتناقص . انفعال لا يتناقص ، ولا يتجمد،
ولكنه يتضاعف .

وهذا الجمهور ينقل انفعاله واعجابه بام كلثوم من جيل الى
جيل . وراثه . خذ مثلا ما كتبه جمال الدين حافظ عوض
سنة ١٩٢٦ يقول « كانت الأنسة أم كلثوم ، ومازالت الى اليوم،
موضع اعجاب الناس من الفنانين والموسيقيين وأصحاب الأذان
السليمة . وكانت لا تحيي ليلة تنشد فيها الا ويمتلئ المكان
ويغص بالجمهور . وذاع اسمها وانتشر صيتها وتهافت الامراء
والاعيان على الاستمتاع بصوتها المطرب في حفلاتهم الخاصة » .

ولو حذفنا كلمة « كانت » مما كتبه جمال الدين حافظ سنة
١٩٢٦ فسوف يظل الوصف صادقا اليوم . مازال الجمهور هو هو ،



عندما تغني أم كلثوم
عن الحب .. يصلح
الحب مشكلة شخصية
بالنسبة لكل واحد من
جمهورها .

- بعد أن أصبح أكبر • مازال الاعجاب هو هو ، ولكن أضخم • مازال الانفعال هو هو ، ولكن أقوى •
- استمع اليها مثلا في أى حفل عام وهى تغنى • راقب الجمهور أيضا وكيف ينفعل •
- انها تغنى : « فات الميعاد .. وبقينا بعاد » • خسارة • انها خسارة عاطفية شخصية لكل واحد من المستمعين •
- إذا عدت خلفا راقبها وهى تغنى : « أنا لن أعود اليك .. مهما استرحمت دقات قلبي » • حرام !



بورقية وزوجته يستمعان الى ام كلثوم مع
الجمهور انشاء فنانها في تونس بين الجماهير ..
جماهير سيدة الغناء العربي .

أو وهي تغنى « ما بين بعدك ، وشوقى اليك .. وبين قربك ،
وخوفى عليك .. دليلى احتار ، وحيرنى » . مشكلة . مشكلة . مشكلة
عاطفية شخصية يحس بها كل مستمع من هذا الجمهور .
وإذا تقدمنا الى الامام فنستمع اليها تغنى كلمات ابراهيم ناجى
يا فؤادى لا تسلى أين الهوى . كان صرحاً من خيال فهوى
اسقنى واشرب على اطلاله . وارو عنى طالما الدمع روى

هكذا تبدأ ام كلثوم فى قصيدة الاطلال . ولكنها ما تكاد تصل
الى آخر خمس كلمات حتى يصبح كل شيء حولها اطلالا . اطلال
غناء ، اطلال حب ، اطلال جمهور . ام كلثوم نفسها تصبح أحيانا
اطلالا ! لقد رأها رامي مرة وهي تأخذ حقتسة طيبة قبل الغناء
لكى تساعدنا على الوقوف ساعة وهي تشكو لها .

كل شيء يصبح اطلالا، ماعدا عواطف الجمهور نحو ام كلثوم .
ان الجمهور يعجب بها كما لم يعجب بها من قبل . وهي تغنى
له كما لم تغن من قبل .

★ ★ ★

والجمهور يقبل من ام كلثوم ما لا يقبله من غيرها . فى
الواقع هي تحس ان لديها توكيلا على بياض من جمهورها لكى
تختار له ، وتغنى له ما تختاره ، وتغير فيما تغنيه .

الجمهور يعلم مثلا ان قصيدة ابراهيم ناجى تبدأ هكذا :
« يا فؤادى رحم الله الهوى » ولكنه يغفر لأم كلثوم أن تغنيها :
يا فؤادى لا تسلى أين الهوى .

وفى قصيدة ريم على القاع لأحمد شوقى يقول الشاعر « قرب
منتصت والقلب فى صمم » . ولكنه يغفر لأم كلثوم أن تغنيها :
« قرب مستمع والقلب فى صمم » .

الجمهور يغفر لها اذن ما لا يمكن غفرانه . انه جمهور
استثنائى . جمهور حساس لكل كلمة من أم كلثوم . كل همسة .
كل اه . قليل من النغم طرب . قليل من الآهات متعة .

وحيثما تغنى أم كلثوم فكل شيء يصبح فى خدمة غنائها .
قدماها تتحركان - خطوتين الى الامام وخطوة الى الخلف .
يذاها تساعدها فى الغناء : برقة كما فى أغنية «رق الحبيب» .
يعنف كما فى نشيد «فدائيون» . بكبرياء فى أغنية «فات الميعاد» .
بتفاؤل فى أغنية «أنت عمرى» . بحسرة فى قصيدة «الاطلال» .
بابتهاال فى قصيدة « ولد الهدى » . بمنديل فى جميع الاحوال .

ان وجهها يعبر بانفعال . يذاها تحتضنان الهواء . عيناها
تؤكدان المعنى . اذناها تجمعان الحصيلة .

الحصيلة هى أن كل مستمع يحس أن أم كلثوم تغنى له شخصيا .
تغنى له على انفراد . . ولكن على مسمع من الملايين .

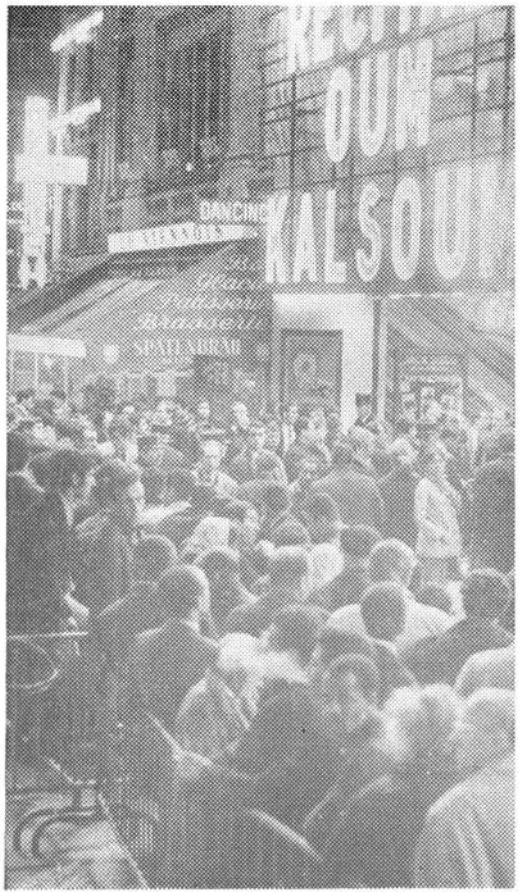
الحصيلة أنها عندما تغنى فان الجمهور يحس أن الحياة هى
موت بغير غناء . بغير طرب . بغير حب .

الحصيلة ان أم كلثوم قامت بعملية تأميم لعاطة الحب . أصبح
الحب ملكية عامة . حبا للجميع .

وأنت لا تستطيع ان تسأل أم كلثوم . ما هو الحب ؟ اذن . .
اسأل من يصلى : من هو الله ؟ اسأل من يعيش : ما هى
الحياة ؟ . اسأل من يتنفس : ما هو الهواء !

الحب الذى تعبر عنه أغاني أم كلثوم هو حب من نوع خاص .
حب يجعل النهار أطول والليل أقصر والقمر ينيب أكثر والنجوم
تصبح أجمل وأكبر والشجر قبل الربيع نراه أخضر .

ان الفيلسوف الاغريقى افلاطون كان يرى ان الحب - من بين



امام مسرح اوليمبيا
في باريس •• الجمهور
في انتظار التلاكم التي
نفلت قبل ان تغني
ام كلثوم •

جميع آلهة الاغريق - هو احسن صديق للرجال • احسن مساعد
لهم • احسن شاف لأمراضهم •

وهذا المفهوم نفسه تجده في اغاني أم كلثوم • حب لـالحب •
تماما كالفن للفن • كالحياة للحياة • ان الحب - في اغانيها -
يتالم بلذة ، يضحى في صمت ، يتعذب في سعادة ، يقاسى من
بعيد ، انه حب لا ينتظر تعويضا عن عذابه • لا يتوقع مكافأة •
الحب مستمر • شيء لا مفر منه • حكم ابدى • قدر • انه عاطفة
يبحث عنها العاشقان مع علمهما مقدما بانهما سيتألمان • ولكنهما



أم كلثوم في السودان .. موكب رسمي وشعبي
يحيط بهسا الاولوف من ابناء الشعب السوداني
الشقيق .

– في النهاية – يقولان مع ايمرسون : « كل المتع الاخرى
لا تستحق الاملها .. الا الحب » !

وأم كلثوم – في تعبيرها غنائيا عن هذا المفهوم من الحب –
انما تعبر عن مفهوم اساسي طلبه الانسان من الحب زمنا طويلا .
فالانسان – منذ البداية – يعيش بالحب . وفي الحضارات القديمة
جعل الانسان للحب الها . فالحب هو الاقدم بين كل الالهة .
موجود قبل كل الالهة . هكذا تصور الاغريق مثلا . ان كيوبيد
عندهم له صفات اربع : انه طفل دائما . اعمى دائما . عار
دائما . يرمى سهامه دائما .

والحب في اغاني أم كلثوم لا يعبر عن موقف غالبا . انه يعبر
عن حالة نفسية .

ان الهوى في اغانيها بلا مواعيد . وعندما يأتي فانه : غلاب .
هجزه مرار وعذاب . يومه بسنة . كل شيء فيه بقضاء .

والحبيب في اغانيها له : ابطاء المذل المنعم .. وتجنى القادر
المتحكم . يحرما من رضاه . يشجيه انينها .

انها تهجره حتى تنسى هواه وتودع قلبه القاسى . ولكنها
تكتشف أنها تفكر فيه وهى ناسية !

انها تناديه على مشهد من « .. الليل وسماه ونجومه وقمره
وسهره » ..

انه عمرها . انه حبيب الأمس .. وحبيب اليوم .. وحبيب
غدا . حبيب لكل العصور .

انه يغمض عينيه حتى يراها . يوحشها وهى أمام عينيه .
وحبها له فيه « وصال ، ودلال ، ورضاء ، وخصام . من
ده وده » .

و - الحب كده ..

ازاي كده ؟ ..

أهو ده اللي جرى !

انها اذن صورة تحدد أبعاد الحب : محير دائما ، مؤلم دائما ،
ممتع دائما . انه حكم على الجميع . ضرورى للجميع . انه حب
للجميع ! انه حب لا يعبر عن الواقع كصورة فوتوغرافية . انه
يجمع الواقع كلوحة زيتية . ليس موقفا .. ولكنه حالة . ليس
حقيقية .. انه خيال .

ولكن الحب فى اغاني ام كلثوم لا ينفرد بهذا الوضع الخاص .
وضع استثنائى . ان كلمات الحب أيضا لها وضع استثنائى .

لقد سمعت مرة رئيس وزراء ولاية بماليزيا يقول لأم كلثوم :
« اننا نتعلم اللغة العربية من خلال أغانيك » !

فى الواقع أن أم كلثوم تعيد الحياة الى كلمات كثيرة فى اللغة
العربية هجرناها منذ مدة طويلة . انها تقوم بعملية تلميع لكلمات
علاها صدا كثير ، فتصبح براقه ناصعة .. ومفهومة ! انها تقوم
فى الواقع بالتوسط بيننا وبين اللغة العربية الفصحى . وساطة
مقبولة من الجانبين .

خذ مثلا هذا البيت من قصيدة أحمد شوقى (سلوا كؤوس الطلا)

باتت على الروض تسقينى بصافية

لا للسلاف ولا للورد رياها

او - هذا البيت :

حمامة الأيك من بالشجو طارحها

ومن وراء الدجى بالشوق ناجاها



ام كلثوم تصافح
الملك محمد الخامس
ثناء زيارته للقاهرة
في يناير سنة ١٩٦٠

ان اى صحيفة لو نشرت هذه الابيات الآن لاحتاجت الى توزيع
قاموس معها لشرحها . قاموس تقول فيه ان « الأيك » هو نوع
من الشجر . وأن « الدجى » معناها الليل . و « الشجو »
هو الهوى ..

لن تجد هذه الكلمات اليوم فى كتاب ، او مجلة ، او صحيفة ،
ولا حتى فى مؤلف جامعى . نادر .

★ ★ ★

وسنحرم ام كلثوم يتركز اولاً فى شخصيتها . وثانياً فى صوتها .
صوت ابعاده من ٦٠ الى ١٦ الف نذبذة فى الثانية . بينما اقوى



•• الله بيخل صحة ••
اياك •• كلمات قالتها
فيروز لام كلثوم في بيروت
•• ثم قبله على الغدين ••

صوت يليها يصل الى ١٠ الاف دبذبة في الثانية فقط • حقيقة علمية ••

هذا الصوت هو الذي عطل المرور في حي شبرا بالقاهرة ساعتين عندما اذيعت اغنية « انت عمرى » سنة ١٩٦٤ • حي شبرا يسكنه مليونان من السكان •

هذا هو الصوت الذى هتفت له الجماهير في تونس قائلة : اهيكا أم كلثوم •• وعبرت عنه فيروز عندما ظلت تردد لها : الله بيخلي اياك • ويسمونه في باكستان : ممتازة الامتياز • واستقبلوا صاحبه في السودان والمغرب والكويت استقبال رؤساء الدول !

هذا هو الصوت الذى كتبت عن صاحبه مجلة « تايم » الامريكية تقول : « ان اسطورة أم كلثوم تكبر وتستمر منذ ٣٢ عاما

لأنها أشهر وأقوى شخصية فنية في الوطن العربي . وليست هناك أية علامة على أن كوكب الشرق تتأثر بالزمن ، لأن العرب يؤمنون بأنه يزيدا قوة ويضيف الى صوتها غنى وصفاء . وفي الشرق الاوسط هناك شيئان لا يتغيران ولا ينال منهما الزمن .. أم كلثوم والهزم » .

أما جريدة أوبزرفر البريطانية فتقول : « ان أم كلثوم هي نجمة الغناء العربي التي تجمع كل العرب حول أجهزة الراديو في الخميس الاول من كل شهر خلال موسمها ابتداء من الخريف حتى مطلع الصيف . بينما المحظوظون ان الذين يستمعون اليها مباشرة في القاعة ويرتفع صوتها في حنان ويتماوج مع المشاعر ويعبر عنها . ان أم كلثوم تعتبر مؤسسة وطنية راسخة تماما كالهرم الاكبر » .

وقالت « لومانيتيه » بعد حفلها في باريس : انها فنانة تملك سلطانا مدهشا تؤثر به على الجماهير .

وقالت « الاسوشيتدبرس » . لقد شهد الشرق الاوسط ثورات وانقلابات ، وطرد ملوكا ، وظهر رجال أقوياء ولكن شعبية أم كلثوم بقيت كما هي منذ أكثر من نصف قرن .. فهي ملكة الغناء العربي بلا منازع .

أما جريدة « فرانس سوار » فتكرر : ان شهرة أم كلثوم فاقت شهرة أعظم المطربين في العالم الذين استمع اليهم الفرنسيون على مسرح الاوليمبيا . بل انها أصبحت أشهر من جان دارك وتفوقت على أديث بياف وماريا كالاس . ان شهرة أم كلثوم في المنطقة العربية لاترتفع اليها ولا تعادلها شهرة أي نجمة للغناء في هذا الجزء من العالم .

هذا الجزء من العالم ؟

نعم . هذا ماقلته الصحيفة الفرنسية .

ان المنطقة كلها من المحيط الى الخليج هي جزء واحد عندما تغنى أم كلثوم . سقطت الحواجز . ذابت الحدود . اتحدت الأذان داخل عشرة ملايين كيلو متر مربع . هذه هي النقطة . ان صوت أم كلثوم أقام أول سوق عربية مشتركة . سوق في حال غير الحال ليلة تغنى أم كلثوم . كل الاذاعات تنقل صوتها . كل المستمعين يعطونها أذانهم . القديم والجديد ، الحكام والرعايا ، الوزير والفقير ، راكب الجمل وراكب السيارة ، ساكن القصر وساكن

الكوخ ، مشاهد التلفزيون ومستمع الراديو . ان غناء أم كلثوم موجود حيث توجد كل نسمة هواء فى هذه المنطقة . لقد تركت أم كلثوم بصماتها على الهواء الذى تتنفسه هذه الأمة . الحياة غير الحياة عندما تغنى ، العواطف غير العواطف ، الناس غير الناس .

« هبلى الناس يا أم كلثوم » ..

هكذا قالت لها احدى سيدات المجتمع معبرة عن اندفاع الجماهير لاستقبال أم كلثوم وهى تغنى فى تونس . هكذا قال أيضا الصحفى الدانمركى دينيس دوبرلى عندما شاهدها تغنى فى ليبيا . لم يكن يفهم ماتغنيه ، ولكنه كان يسمع .. كان يرى .

★ ★ ★

« الا ترى » ؟ هكذا يسألنى جارى فى حفل أم كلثوم بطنطا .. ارى ماذا ؟ .. « ترى ثومة » ! طبعاً ارى . طبعاً أسمع . أسمعك وأنت تهتف لها « تانى يا ثومة » ! وأدى زوجتك وهى تنظر الى أم كلثوم بالنظارة المعظمة . صورة تجد مثلها دائماً فى جميع حفلات أم كلثوم .. وأرى الجميع فى حالة فرح .. وعندما زغردت واحدة من الحاضرات انفجر الجميع ضاحكين ضحكة رجل واحد !

طبعاً أسمع وأرى هذا كله . ارى خلفى زوجا ، وأمامى عاشقاً أما أنا فمنطقة محايدة ! أنا محاط بساندويتش من الأزواج والعشاق ، لقد جاء الزوج بزوجه فى يده وذكريات فى عقله ودمعة فى عينه ومندبل فى يده .. زوج مخلص .

غناء أم كلثوم هو - بالنسبة للزوج - محاولة لتجميل الماضى .
وبالنسبة للعاشق محاولة لاكتشاف المستقبل .

فالحب عند الاول ماضى انتهى بدمعة . وعند الثانى حاضر يتحرك بابتسامة .

لم يعد الماضى بالنسبة للاول ذكرى انتهت منذ سنة ، ولا منذ خمس دقائق . الماضى أصبح موجودا الآن . الماضى أصبح حياة . الماضى تحكى عنه أم كلثوم . والله زمان .. يا حب !

والمستقبل بالنسبة للعاشق لم يعد شيئاً يطويه الغيب . ولا هو شئ يحذر منه الاصدقاء . المستقبل أصبح موجودا الآن . يتحرك

على المسرح .. يتدلل فى الميكروفون . المستقبل أصبح هذا الذى
تكشفه أم كلثوم بغنائها . المستقبل أصبح كل هذا الحب .. هذا
الدلال .. هذا الألم .. هذا السحر .. هذه المتعة .

والزوج معه طفلة . طفلة فى الثانية عشرة على ما يبدو . انها
تستمع أيضا الى أغنية الحب التى تغنيها أم كلثوم . تستمع بمتعة
وشغف لقصة حب تزويها أم كلثوم . تستمع اليها كما لو كانت
تنظر من ثقب الباب لترى ماذا يفعل الآخرون عندما يحبون !
اصبرى قليلا يا عزيزتى الصغيرة !

★ ★ ★

اننا نقول فى المسرح ان هاملت - بطل شيكسبير - هو رمز للشك
وأن «عطيل» - بطل شيكسبير أيضا - هو رمز للغيرة .

ولقد أصبحت أم كلثوم رمزا للحب . أصبحت كذلك حتى
بالنسبة للذين لم يجربوا الحب بعد . حتى بالنسبة للذين يعتبرون
الحب ذنبا واثما . حتى هؤلاء يستمعون اليها كما لو كانوا يقومون
برحلة الى عالم الذنوب دون أن يرتكبوا ذنبا . يسبحون فى البحر
دون أن تبتل ملابسهم .

وعندما انتهت أم كلثوم من غنائها بدأ الجمهور - بصعوبة -
يغادر كراسيه . وبدأت الساعات فى أيدى الجمهور تعود الى
الدوران ، بعد أن توقفت عقاربها أربع ساعات حتى تستمع .

بدأ الجمهور يعود الى منازلهم .. « انتهى الليل وسماه ..
ونجومه .. وقمره .. وسهره » ، لم يعد هناك سوى « أنت ..
وانا » ، كلنا الآن فى الحب سواء . كلنا كنا فى ليلة من الفليلة .

من الآن فصاعدا لن يكون الحب اثما . من الآن فصاعدا لا خطيئة
لا ذنب ، لا خوف ، لا انتظار ، لا فراق ، لا ألم من الفراق ..

لقد تحققت النهاية . أصبح لنا قلب جديد وعواطف جديدة .
عاد الجمهور الى منازلهم اثنين اثنين .

عاد بالخطوة البطيئة !



أم كلثوم في البيت

« كل منا يبحث في السعادة
عن الجزء الذي يهمله »
« أم كلثوم »

أم كلثوم ست بيت فاشلة جدا !!

انها مثلا لا تجيد الطبخ ! فى الواقع أنها لم تحاول مرة أن تطبخ .. ولا مرة !! أنها لو حاولت فالنتيجة معروفة مقدما ! لهذا فان أم كلثوم لا تتدخل فى أعمال منزلها . لديها من يقوم بذلك ..

ولكنها تتدخل فى أشياء أخرى . تنسيق الغرف مثلا . المكان الذى تعلق فيه اللوحات الفنية مثل آخر . لوحة نحاسية للعدراء تجدها فى المدخل . لوحة زيتية للفنان صلاح طاهر فى الصالون . لوحة أخرى تمثل الفلاحة المصرية فى الغرفة الاولى .. وهكذا .
زوج أم كلثوم له ذوقه فى المنزل أيضا . ان مهنته – كطبيب – تحدد ملامح ذوقه : الدقة ، النظام ، الترتيب .

ولهذا ، فبينما يختلف الدكتور حسن الحفناوى عن زوجته أم كلثوم فى مواعيد وأسلوب العمل والعادات المنزلية .. فانهما يتفقان فى شيء آخر : الذوق الفنى .

والواقع أن اتفاق الذوق الفنى كان أول نقطة اتفق فيها الدكتور حسن الحفناوى وزوجته . هذا الاتفاق هو الذى أدى الى زواجهما فى سنة ١٩٥٥ .

كان الدكتور حسن من أبرز أطباءى الامراض الجلدية (الآن أستاذ فى طب عين شمس) وعندما يصبح الطبيب موهوبا .. فغالبا ما تمتد موهبته الى دائرة الادب والفن . الدكتور نجيب محفوظ طبيب أمراض النساء مثل لذلك . الدكتور محمد كامل حسين طبيب أمراض العظام مثل ثان . الدكتور حسن الحفناوى مثل ثالث ..

والدكتور حسن من « سميعة » أم كلثوم . هكذا بدأت علاقتهما مستمع .. ومطربة .

ولكن أم كلثوم كانت تتردد عليه للعلاج فى سنة ١٩٥٤ علاقة عادية أخرى : طبيب ، ومريضة .

وتطورت هذه العلاقة العادية الى اتفاق عاطفى .. ثم الى الزواج .. وتم الزواج بعد عودة أم كلثوم من رحلتها الى أمريكا للعلاج . تم فى سنة ١٩٥٥ .

وعندما تجلس أم كلثوم لن تسمع اسم حسن الحفناوى ..

وعندما تجلس مع الدكتور حسن لن تسمع اسم أم كلثوم ..

وجزء كبير من مجهود الدكتور الحفناوى يضيع فى الهرب من الصحفيين . قبل الزواج كان يحضر حفلاتها العامة بانتظام . بعد الزواج اكتشفته عدسات المصورين فتوقف عن الذهاب واكتفى بسماع زوجته فى البيت . وعندما بدأت أم كلثوم تسافر الى الدول العربية للغناء كان الدكتور حسن يذهب الى المطار لتوديعها ومرة أخرى اكتشفته عدسات المصورين .. فتوقف عن الذهاب الى المطار ، واكتفى بتوديع زوجته فى البيت .

ان هذه التصرفات - وغيرها كثير- هى اصرار من الطرفين على الا تختلط حياتهما الخاصة بحياتهما العامة . اصرار يصل أحيانا الى حد التزمت . انه تزمت لان شخصية الانسان واحدة فى الحالىين أمام الناس ، وبعيدا عن الناس . انها شخصية واحدة .. أو من المفروض أن تكون واحدة . لهذا فان البحث فى الجانب الشخصى لحياة الفنان هو أمر مهم .. فى الحدود التى تؤدى الى استكمال بحث شخصيته العامة .

ولكن مثل هذا الرأى لا يقنع أم كلثوم بسهولة . ولفترة طويلة جدا - مازالت مستمرة - لم يكن أى صحفى يستطيع أن يسأل أم كلثوم عن حياتها الخاصة . عيب . ان الصحفى يترك أم كلثوم فى النهاية - بأصبع على شفثيه - دون أن يناقش حياتها الخاصة .

ولكن أم كلثوم تطورت . يستطيع الصحفى الآن أن يناقشها بدرجة محدودة فى حياتها الخاصة . ولكنه سيكتشف بعد لحظة أن أم كلثوم قد حولت الحديث عن حياتها الى حديث عن فنها . فن !



أم كلثوم وحدها ..
مع نشرة الأخبار !

ان هذه العزلة التي تقيمها أم كلثوم بين شخصيتها العامة
وشخصيتها الخاصة لها مظاهر كثيرة في حياتها نفسها .

ان الفيلا التي تسكنها أم كلثوم تقع على الجانب الغربي من
نيل القاهرة . فيلا ورمية اللون .

والفيلا يحيطها سور دائرى . هذا السور هو حاجز بين أم كلثوم
التي يعرفها الناس ، وأم كلثوم التي لا يعرفها الناس . حاجز
مرتفع ، قبل هذا السور تحتفظ أم كلثوم لنفسها بسلطتها كفنانة .
بعد السور تحتفظ لنفسها بحريتها كزوجة ، كإنسانة ، كفرد
عادى . هنا - فى داخل هذه الفيلا - تريد أم كلثوم أن تستريح ،
تستريح ، تستريح . انها تستريح كمقدمة لعمل غنائى جديد .
فالفناء أيضا يحتاج الى مجهود . الفناء يحتاج الى استعداد .
الفناء ؟ لى ما هذا ؟ لقد بدأنا بحياة أم كلثوم فانتبهنا الى فناء
أم كلثوم ! ألم أقل لك ان أم كلثوم تحول كل حديث عن حياتها الى
حديث عن فنها ؟ انتباه .

★ ★ ★

ان شخصية أم كلثوم كفنانة هى امتداد لشخصيتها كإنسانة .
انها غير عادية فى فنها . لهذا تصر على أن تكون عادية فى حياتها

•• فى أسلوبها •• فى حديثها • هذا هو الانطباع الاول الذى تخرج به بعد اول دقيقة من الحديث مع أم كلثوم فى بيتها •

ان وجهها - فى بداية الحديث - يعطى لنفسه أجازة من الانفعال مستمعا الى ماتقوله أنت • على هذا الوجه نظارة سوداء • خلف النظارة تختفى عين أم كلثوم متنكرة • ان الانطباع الدائم الذى تتركه عيناها هو قوة الارادة • عندما تصل هذه القوة الى حدها الاقصى تصبح عنادا • عندما تهبط الى حدها الادنى تصبح اصرارا •
وإذا تكلمت أم كلثوم فانها تضغط دائما على حروف الكلمات • يداها تساعدان فى هذا الضغط • تعبيرات وجهها تؤكد المعنى • وجه خال من الزوايا المقاطعة ، معبأ بالعواطف الحادة •

ان الكلمات تخرج من فم أم كلثوم متلائمة مع جو الحديث • انها كلمات حارة غالبا باردة نادرا • كلمات مكيفة الهواء •

★ ★ ★

• ولكن أم كلثوم لا تندمج فى أى حديث من السطر الاول •

انها - فى البداية - تتكلم برأسها ، لا بشفتيها • انها تستمع •• وتستمع • كلمة أو كلمتين ، ثم تستمع مرة أخرى •

أقول ان أم كلثوم فى حياتها الخاصة منعزلة عن الناس ، هذه العادة جعلتني أقول لها مرة : انك قضيت ساعات وساعات على امتداد حياتك الفنية أمام الكاميرات والميكروفونات •• تجيبين وتسالين • ان هذا كله يشير الى أنك تحبين الناس • أو تهتمين بسماع آرائهم على الاقل • ومع ذلك فانا أعرف أنك فى حياتك الخاصة نادرا ماتختلطين بالناس • نادرا ما تلغين المسافة بينك وبينهم • الاترين ان هذا تناقض ؟

وكان رد أم كلثوم ببساطة : هذا صحيح • اننى أهتم بمتابعة آراء المجتمع فيما اقدمه • ولكننى مع ذلك لست نجمة مجتمع • لست كذلك بمعنى اننى لا افضل أن يرانى الناس فى كل ركن يستديرون اليه • لا افضل أن أكون من الذين يراهم الناس موجودين فى كل سهرة •• ظاهرين فى كل مناسبة • على ذلك • فانا لست من الذين يزورون كثيرا أو يزارون كثيرا • لست من الذين يعيشون حياة صاخبة • انا حريصة فقط على أن أقوم بدورى الفنى • بعدها أُسحب فورا متراجعة الى حياتى الخاصة •

تعرف ليه ؟ لان الفنان اما ان يبني نفسه ، او يدمر نفسه . وأنا حريصة - حتى الآن - على ان ابني نفسي . وهذا فى الواقع ليس تناقضا كما قد يبدو . ان عملى يفرض على بعض الاعباء التى جعلتنى اختار هذا الاسلوب فى الحياة .

وعدت اسأل ام كلثوم : ما الذى جعلك تصبحين فنانة ؟

وردت بسرعة : « لم اكن مطلقا اى شىء آخر . ولا اريد ان اكون اى شىء آخر » .

هنا رفضت ان اقتنع برد ام كلثوم !

رفضت لاننى لا استطيع ان اقول آمين هنا بسهولة .. حتى لام كلثوم !

قلت لها : انك تحدثينى كما لو كان عمك هو كل شىء فى حياتك . ومع ذلك فانا اعلم ان هذا غير صحح . اعلم مثلا انك تعطين حياتك الزوجية اهتماما يساوى على الاقل اهتمامك بعملك . اليس كذلك ؟

وضحكت ام كلثوم وهى ترد : طبعا .. هذا شىء ، وهذا شىء . مادمت زوجة فلا بد ان اقوم بواجباتى كزوجة . لابد الا يكون انشغالى بعملى عذرا لتقصيرى فى حياتى الزوجية . ومع ذلك ، فحتى هنا ليست هذه هى القاعدة دائما . هناك استثناءات احيانا . استثناءات زوجية ، ليست مشاكل زوجية . ان ما يجعلها كذلك هو ان زوجى الدكتور حسن وأنا نقدر اعباء بعضنا . احيانا ينهكم الدكتور حسن فى ابحاثه الطبية ويسهر معها وينشغل بها . انا لا الومه على ذلك . نحن اذن لا نتبادل المشاكل . نحن نتبادل التقدير . ان كلا منا يعلم ان المشاكل الزوجية سببها غالبا سوء التقدير . ما دام لا يوجد سوء تقدير ، فلا توجد مشاكل . على اننى لا اقول ان اختفاء سوء التقدير هو الاساس الوحيد للحياة الزوجية . لابد ايضا من التقدير . وفى هذه الحدود فاننى وزوجى نبني حياتنا على اساس من التقدير المستمر . تقدير متبادل .

★ ★ ★

ومن الامور المتكررة كل يوم جمعة ان تخرج ام كلثوم فى جولة مع زوجها سيرا على الاقدام فى شارع النيل . ان ام كلثوم تحب

المشي • انها تسير يوميا لمدة ساعة تقريبا على النيل « • ما عدا
ايام الصيف ، لان الجو يبقى حر » •

وهي تصلى • ومن احسن اوقاتها تلك التي تجلس فيها ممدودة
القامة حافية القدمين ، مرددة آيات القرآن الكريم • ان الصلاة
والمشي جزءان من التقاليد الثابتة فى حياة أم كلثوم • مواعيد النوم
والاستيقاظ أيضا ثابتة غالبا • فى اليوم العادى لانتأخر عن النوم •
بالكثير حتى الساعة الحادية عشرة مساء • ثم تستيقظ فى الثامنة
صباحا • لا افطار • مجرد فنجال شاي • الغداء أيضا حسب
الظروف ، أما الوجبة الرئيسية فهى العشاء •

ولكن ، عندما تكون لديها بروفات أو حفل عام •• يتغير
الجدول ! الغداء يصبح هو الوجبة الرئيسية : لحوم طيور
وخضراوات • « الشمرية » من أحب الاطعمة عند أم كلثوم • بعد
الغداء تشرب دائما عصير فواكه طبيعى • عصير معد فى المنزل •
غالبا عصير جوافه •

وفى ليلة الغناء لا تتناول أية اطعمة فى المساء • لا عشاء •
ولكنها قبل الغناء لابد ان تشرب فنجال قهوة •• بارد • عادة •
بعد الغناء ساندويتش ، ولا نوم حتى الصباح •

وحتى سنوات قليلة مضت كانت أم كلثوم تقوم دائما بزيارة
مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب قبل أن تغنى • أما الآن
فهى تكتفى بقراءة آيات من القرآن الكريم • انها تتمم بآيات
القرآن فى كل خطوة •• حتى عندما تسير فى الشارع أو تركب
سيارة • لقد ركبت معى السيارة مرة فى طريقها من منزلها الى
مبنى التلفزيون • وفى أول خمس دقائق اكتشفت أن عقلها ليس
معى • انها تردد آيات القرآن سرا • بعد لحظات كانت مستعدة
للكلام • ساعتها أبطأت السيارة وبدأت أجرى معها حوارا
بالخطوة السريعة •

• هكذا أجابت أم كلثوم •

- ما هى اكبر خطيئة : ان ترى الخطأ ولا تنبه اليه •

- احسن صديق : شخص يشاركك الملك •

- احسن مكان : حيث تنجح •



ام كلثوم ، فى زيارة
لفريح السيد البسوى -
طنطا .

- اقصر طريق للنجاح : العمل .
- احسن عمل : الذى تحبه .
- اكبر راحة : ان تؤدى عملك جيدا .
- اكبر خطأ : اليأس . انه موت مبكر !
- اسهل شيء : ان تجد خطأ لشخص آخر .
- اكبر عيب : الغرور .
- احسن مدرس : شخص يرفض ان يجاملك .
- احقر شعور : الحسد .
- اكبر لغز : الحياة .
- اعظم شيء فى العالم : الحب .
- اكبر مقلب : شخص لا يفهم ما تريد .
- اكبر عدو : اسرائيل .
- اعظم مهمة : ان نفتدى بلدنا بحياتنا .



المرأة السودانية أليفة وبشوية ، محترمة باعجاب - ملنا راي ام كلثوم

- اكبر امل : ان تعود فلسطين .
- اشرف واجب : الدفاع عن الحق .
- اسمى فكرة : الله .

★ ★ ★

ان أم كلثوم تتفاعل بقراءة القرآن الكريم . وتتفاعل بحمل مصحف صغير في حقيبة يدها أينما تسير . ولكنها تتشأم اذا نسيت أن تأخذ معها عند سفرها وسادة خاصة تنام عليها . في الواقع أنها تكره أصلا أن تتشأم . لان « . . التشاؤم ، يتحول فيما بعد الى شؤم حقيقي » .

والسعادة بالنسبة لأم كلثوم « . . مسألة نسبية . . . فما يسعدني قد لا يسعدك . وما يسعدك قد لا يسعد شخصا ثالثا . ان كلا منا يبحث في السعادة عن الجزء الذي يهمه » .

أما المرأة في رأيها فهي « . . الاساس في كل شيء . انها البداية نحو خلق أسرة متماسكة . وكلما كانت المرأة مثقفة زادت قدرتها على فهم زوجها ودفعه الى الامام . وما تقدمه بلدنا للمرأة اليوم سوف تسترده قيمة وثقافة وكفاءة من الجيل الجديد بعد عشرين سنة » .

بعد هذه الجملة فان رأى أم كلثوم في المرأة يزيد تفصيلا . . . من رأيها مثلا . . .

« . . ان المرأة السودانية انيقة بحشمة ، محترمة باعجاب ، وهى بالفعل جديرة بالاحترام الذى يبديه لها الرجل السودانى . . . » . . .
« . . اما المرأة فى المغرب وتونس فانها جميلة جدا . . . خصوصا بزيها الوطنى . . . جميلة ومثقفة . . . » . . .

« . . والمرأة اللبنانية هى أسرع امرأة عربية الى الموضة . ان الموضة تبدأ فى بيروت دائما ، ثم تنتشر بعد ذلك . . . » . . .

« والمرأة الكويتية تحاول التوفيق بين حشمة مجتمعها وموضة بيروت . انها فى منتصف المسافة بين المرأة السودانية والمرأة اللبنانية . . . » . . .



صلاح طاهر .. في لوحة يرسمها لام كلثوم بعينها ..

••• وعلى أى حال ، فإن المرأة العربية بصفة عامة أصبحت تهتم بالذوق الفنى أكثر من أى وقت مضى ••• والذوق فى حد ذاته جزء من الثقافة ، •••

والواقع أن أم كلثوم نفسها حريصة على الثقافة ••• انها تتحدث الفرنسية ، الى جانب قليل من الانجليزية ••• وأم كلثوم تعزف على العود ••• وهى تقرأ كثيرا ••• تقرأ الشعر ••• انك لاتستطيع أن ترمى بحجر فى بيت أم كلثوم دون أن تصيب ديوانا من الشعر ••• أو حتى بيتا !

ان أم كلثوم تحتفظ بدواوين المتنبى وأبو نواس وابن الفارض ومهيار الديلمى ••• تحتفظ بكتاب الاغانى لابی الفرج الاصفهانى ••• وتحتفظ أيضا بمختارات محمود سامى البارودى واحمد شوقى وحافظ ابراهيم ••• من قراءتها أيضا كتاب « كليلة ودمنة » وكتاب « حديث عيسى بن هشام » للموily

ومن الكتب التى تحب أن تقرأها وتعيد قراءتها كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ••• وكتاب « الايام » للدكتور طه حسين •••

بعد الكتب كانت أم كلثوم تهوى مشاهدة الافلام السينمائية وبعض المسرحيات ، خصوصا مسرحيات يوسف وهبى ••• ولكنها توقفت عن ذلك منذ زمن طويل ••• لقد حل الراديو والتلفزيون محل السينما والمسرح ••• فى الراديو تحب سماع الموسيقى والبرامج الدينية •••

وبالاضافة الى ذلك فليديها عدد ضخم من الاسطوانات الموسيقية انها تحب سماع الموسيقى الهندية والتركية ، بالاضافة الى الموسيقى الشرقية •••

وأم كلثوم سبق أن حاولت التلحين ••• ولكنها فشلت مرتين ••• لقد لحت لنفسها فى مطلع حياتها الفنية طقطوقة (على عينى الهجر دا منى) ومونولوج (يانسيم الفجر ريان الندى) ••• وهما من نظم الشاعر أحمد رامى ••• ومسجلتان فعلا على أسطوانات •••

فى الواقع انها لم تشجع نفسها على الاستمرار فى هذا الاتجاه ، بالرغم من أن عددا من أصدقائها شجعها على ذلك ••• السبب ••• اننى أرى أن الانسان لابد أن يرغب نفسه على التخصص ، •••



الدكتور حسن الحفاوى مع زوجته ام كلثوم
.. يشاهدان مباراة فى كرة القدم سنة ١٩٥٥

وايمانها بالتخصص هو الذى يجعلها تؤمن بأن التليفزيون يجب
أن يكون لديه فنانونه المتخصصون . انها تقول « .. كنت أحب
عددا من الفنانين عندما كنت أسمعهم فى الراديو . ولكننى عندما
بدأت أراهم فى التليفزيون قل اعجابى بهم » .

★ ★ ★

وام كلثوم بعد هذا كله تحب أن تسمع نفسها . انها تقول لنفسها
« أه » ! وهى عندما تفعل ذلك تكون بمفردها . ام كلثوم وحدها .
مع ام كلثوم . وهى تقول « .. اننى أسوأ مستمع لنفسى !
فحينما أسمع تسجيلاتى .. أسمعها بأذن أخرى . اذن الناقد
القاسى . الناقد الذى يعرف أن كل شيء كان يمكن أن يكون
أحسن ، وعملى كان يمكن أن يكون أفضل . بل اننى لا أرضى عن
غنائى سوى مرتين فى السنة ، هما اللتان أحس فيهما فعلا اننى
تفوقت على نفسى ، . . »

وهى تقول أيضا : « .. اننى حريصة جدا علن أن تكون حياتى مليئة بأكبر قدر من العمل ، وأكبر قدر من النظام . أن العمل والنظام لم يساعداى فنيا فقط ، وإنما ساعداى صحيا أيضا بدرجة متساوية . اننى مثلا مدينة لفنى بصحتى . أن النوم المبكر والسهر نادرا والقراءة المستمرة والاستماع الدائم .. ليست مجرد عادات اجتماعية أو ثقافية . انها أيضا عادات فنية .. وبالإضافة الى ذلك . فإن الغناء بالنسبة لى هو متنفس لاشياء كثيرة . متنفس لطاقت كثيرة لا أجد وسيلة أخرى للتعبير عنها . وهنا خطر لى فجأة أن أسأل : أم كلثوم .. لماذا تغنين ؟

- ايه ؟ ..

- لماذا تغنين ؟

- آه .. لاننى أريد أن أكتشف فى نفسى شيئا أريد التعبير عنه

- وهل حققت لك أغانيك هذا التوقع ؟

- لا .. ليس بعد .

- الا يمكن أن يكون غناؤك من أجل النقود .. أو من أجل الشهرة مثلا ؟

-

- ممكن .. ولكن هذا ليس صحيحا الآن ..

- ليه ؟ ..

- اولا لاننى لم أعد فى حاجة الى النقود .. حاجتى اليها أيام طفولتى مثلا . نفس الاجابة بالنسبة للشهرة . كل المسألة اننى أغنى لاننى أحس أحيانا بأنه ربما تكون لدى فكرة أريد أن أنقلها أو عاطفة أريد أن أعبر عنها ، أو هواية أريد أن أمارسها . تاتى بعد هذا كله نقطة هامة جدا : أن الانسان لايد أن يعمل مادام قادرا على ذلك . لايد أن يعمل .. لان قيمته هى عمله . ليست ثروته .. ليست شهرته . وأنا لا أتصور يوما من حياتى يمر من غير عمل .. اننى حريصة على أن تكون حاتى اطارا لعملى . حياتى هى الاطار .. والعمل شيء مكمل له .. شيء مجمل له ..

- بمناسبة العمل .. هل يتطلب عملك نفقات كثيرة فى بعض الفواحي .. الملابس مثلا ؟

-

- لا .. ليس دائما .. وليس كثيرا .. آه .. تصور ، انه

نشر عنى خبر مرة يقول أن الفستان السواريه الذى ارتديه يتكلف

٤٠٠ جنيه . معقول ؟ لا أدري من أين جاءوا بهذا الرقم . ان
فساتينى تتكلف أقل من ذلك بكثير . أقل جدا .

- وافرضى أنه يتكلف ٤٠٠ جنيه .. يجرى ايه ؟

- لا شيء .. الا أن المهم فى المسألة ليست تكاليف الفستان ..
انما ذوقه . هكذا أرى . وبالنسبة لى فانتى لا أنقل الموضة ،
مع أننى أتابعها . أتابعها لكى أخذ منها ما يناسبنى . أنا لا أريد
أن ارتدى فستانا يلفت نظر الناس .. والا تبقى معرض
موش موضة ! ان أهم أربع صفات فى الفستان الذى ارتديه هى :
أولا - أن يكون حشمة . ثانيا - ألا يكون متخلفا عن خطوط
الموضة السائدة . ثالثا - أن يكون هناك ذوق فى ألوانه ..
بمعنى أن تكون الألوان منسجمة فى تركيبها مع بعضها . اما
الصفة الاخيرة فهى أن يكون الفستان بسيطا . ان البساطة هى
دائما المشكلة .. وهى الحل !

★ ★ ★

وعندما انتهت أم كلثوم من كلماتها بدأت أفكر . انه سوء تفاهم
.. هذا سوء تفاهم منتشر بين أم كلثوم من ناحية ، وبين جزء من
جمهورها من ناحية أخرى . نتيجة غير مقصودة لطبيعة العلاقة
بين الاثنين . المشكلة - فى رأى - هى أن الجمهور « يعبد »
أم كلثوم ، وعندما « نعبد » أحدا فأننا نضعه على مسافة بعيدة
منا . اننا نحيطه بهالة تختلط فيها حقائق قليلة بخيال كثير .
انه دائما يلبس « أغلى » ويتكلم « أحسن » ويتصرف بلباقة « أكثر »
.. انه معنى من الانفعال ومستثنى من الخطأ ..

وهذا هو وجه الخطأ !!

لقد سألتنى فتاة مرة : هل تعتقد أن أم كلثوم مثل أى واحدة
فينا .. تحب وتكره ، تصيب وتخطئ . تفرح وتبكى .
تتفاعل وتتشاءم ؟

طبعاً أم كلثوم هى هذا كله ! ان صورة أم كلثوم لن تكبر بمزيد
من الخيال .. بل بمزيد من الحقائق . أم كلثوم فى حياتها العادية
ليست شخصا مختلفا عن كل الاشخاص . انها انسانة عادية
جدا . ربما كان الخلاف فى الدرجة ، ولكنه ليس خلافا فى النوع .
خلاف يرجع الى أن عواطف الفنان دائما عواطف سكوب : عواطف
مركزة وعميقة .



مسورة تحفظ بها
أم كلثوم في منزلها ..

أم كلثوم تسعد وتقالم ..

طبعاً هي تسعد عندما تنجح في عملها . ولكنها تقالماً جداً عندما ترى مريضاً أمامها ولا تستطيع أن تفعل له شيئاً . كان لديها مرة « شغالة » تعمل في منزلها ، ثم أصيبت ساقها بكسر . وعلى الفور ألغت كل ارتباطاتها السابقة ونزلت بالفتاة الى مستشفى الهلال بالقاهرة . وبعد أن أجرى المستشفى اللازم للفتاة استعدت أم كلثوم للعودة الى منزلها تاركة الفتاة في المستشفى بناء على طلب الاطباء . في هذه اللحظة بكت الطفلة . « .. قالت لي : لازم أرجع معاكى . ولم أستطع أن أحتمل دموع الطفلة . عدت بها معي وطلبت من الطبيب أن يعالجها في المنزل » .

أم كلثوم تفرح وتبكي . لقد بكت مرة بد نجاح حفلتها بمدينة باريس سنة ١٩٦٨ . وقتها قالت « مع كل هذا النجاح الذي حققه



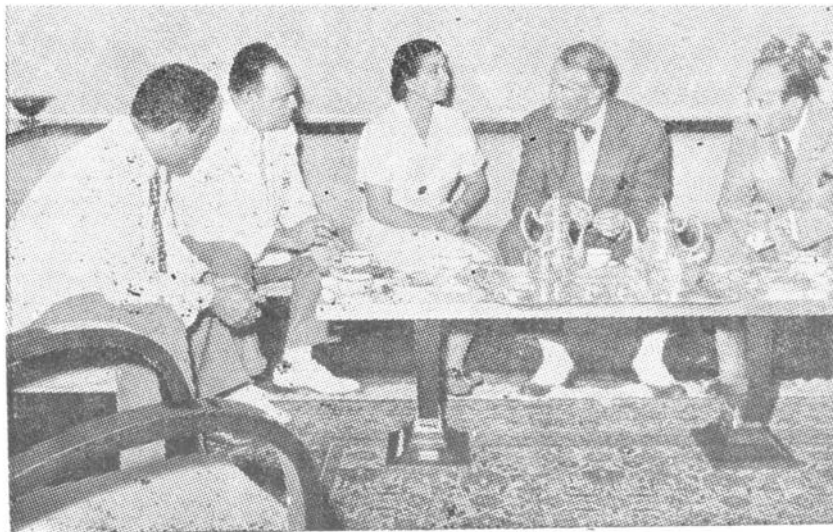
فنجال قهوة عل
الطريقة السودانية ،
اثناء زيارة أم كلثوم
للخرطوم ..

الحفل ، الا أنني كنت أتمنى أن أمثل بلدى هنا وهى فى ظروف
أفضل مما هى أصبحت فيه بعد النكسة ،

• أم كلثوم تعرف الازمات النفسية ••

ان أعنف أزمة مرت بها فى السنوات الاخيرة كانت قبل وبعد
علاجها من تضخم الغدة الدرقية • لقد ظلت الغدة تؤلمها لمدة ثمانى
سنوات ، الامر الذى هدها بالتوقف تماما عن الغناء • وعندما
ذهبت الى أمريكا لعلاج الغدة سنة ١٩٥٤ توفى أخوها خالد وهى
هناك • يومها حرص الاطباء على عدم ابلاغها بالخبر ، بعد أن
علموا مدى حبها لخالد ••

وعادت أم كلثوم الى القاهرة فعلا دون ان تعلم بالخبر • انها
لم تعلم الا بعد أن وصلت الى المنزل • خبر سبب لها أقصى



موريس شيفالييه . عندما زارام كلثوم في منزلها

درجات الألم .. في الواقع أن وفاة أخيها سببت لها أزمة نفسية
لازمتها مدة طويلة .. خلال هذه الأزمة اعتزلت أم كلثوم الحياة
تقريبا . كانت تحبس نفسها في حجرة صغيرة بالمنزل دون أن
تتكلم الى أحد .. أو تطيق أن يتكلم اليها أحد ..

وبسبب هذه الأزمة تدخل الاطباء ..

قال الاطباء انه لا أمل .. و .. لا أمل في أن تعود أم كلثوم
الى حالتها النفسية الاولى الا اذا عادت الى الغناء من جديد .

وام كلثوم تكره ..

انها تكره أن يخدمها أحد . انها تروى مثلا هذه القصة :
« انتهيت من الغناء في إحدى الحفلات .. ثم جاء الى واحد من
المعجبين الذين أعتز بهم .

قال لي : ايه ده .. انت كنت مش معقولة الليلة دي !

سألته : يعني ايه ؟

قال : يعني عملتي حاجات ما حصلتش قبل كده !

سألته : يعنى آيه ؟

قال : يعنى كنت روعة • كنت عظيمة • كنت مبدعة •
ولم افعل شيئا غير اننى شتمته !

لقد فعلت ذلك لاننى فى تلك الليلة بالذات لم اغن كما يجب
ان اغنى • كانت اعصابى متوترة وحالى النفسية سيئة ••

فلم استطع ان اكون فى مستواى العادى • ولهذا كرهت من
هذا المستمع نفاقه • واحدة من اثنين : اما انه لا يفهم ، وانا
لا احب ان يسمعنى من لا يفهم • واما انه يفهم ولكنه ينافقنى •
وانا اكره من ينافقنى ، لانه لن ينبهنى الى عيوبى ، !

وام كلثوم تضحك !

ان خفة دمها هنا قد تتركز فى موقف ، او صدفة ، او قفشة •

دخل اليها فى البيت مرة زميل صحفى • زميل قصير القامة •
وصافحته ام كلثوم واقفة وهى تقول له : اظن انت الواحد يقعد لك •

وكان الموسيقار محمد القصبجى مشهورا عنه بانه يصبغ شعر
راسه وسوالفه حتى يبدو اسود اللون دائما • ولكن ام كلثوم
قالت له فى البيت مرة : كفاية باه يا محمد •• دى بقت ختامة !

وفى مرة اخرى كان محمد القصبجى مسافرا معها فى القطار •
ثم تذكر فجأة انه نسي ان يصبغ شاربه • فاخرج قلما اسود من
جيبه وبدا يصبغ شاربه • حينئذ اشارت اليه ام كلثوم ضاحكة :
شوفوا الرجل رجع شاب •• « بجرة قلم » !!

وفى مرة علقت لى على مقال نشر عنها فى مجلة اسبوعية •
مقال كتب بلغة صعبة للغاية • وعندما قالت لى ام كلثوم ان
المقال لم يعجبها سألتها عن السبب فقالت : لأن كل كلمة فيه
لايسة عمة !!

★ ★ ★

وام كلثوم تحب ••

ولكن حبها من النوع التفصيلى، الجدد ، انها تحب بيت شعر،
او صورة ، او موقفا ، او نكتة •• بالذات ، وبالتحديد • وعندما
تتذكر شيئا فانها تتذكر هذا البيت ، هذا الموقف ، هذه الصورة ،
هذا الطفل •• الطفل الذى يملأ بيت ام كلثوم بشقاوته هو عادل •

وعن عادل تقول أم كلثوم : « ان عادل هو أشقى أطفال الاسرة كلها . ومع ذلك فمئذ اليوم الذى ولدته فيه بنت عمى وانا أحبه جدا . لقد جاءت به بنت عمى منذ أربع سنوات ونصف سنة وهو رضيع لكى أبحث لها عن طبيب يعالجه من لين العظام . ثم اقتضى علاجه أن يبقى فى هذا المنزل . بعدها طلبت من أمه أن تقيم معه هنا انه الآن فى مدرسة الحضانه . وعمره لا يزيد على خمس سنوات ، ومع ذلك فانه فى غاية الذكاء وسرعة البديهة . . أحيانا أتصور أنه يملك عقل رجل فى جسم طفل ، » .

وحتى الصورة التى تحبها أم كلثوم فى البومها هى صورة طفلة تقبلها اثناء زيارتها للسودان . فى الواقع أنك سوف تجد مثل هذه الصورة منشورة بعد كل حفلة لأم كلثوم . صورة طفلة صغيرة تقبلها أم كلثوم .

أكبر طفلة فى منزل أم كلثوم اسمها نعمات . انها بنت ابن أخ أم كلثوم لقد انفصل أبواها بالطلاق منذ سنوات . ثم تزوجت والدتها وتزوج أبوها . بقيت الفتاة الصغيرة - وعمرها تسع سنوات . أخذتها أم كلثوم لتربيتها فى منزلها . ولم تكن الفتاة قد دخلت مدرسة ولا حتى ذهبت الى كتاب . وعندما بدأت نعمات تستقر فى منزل أم كلثوم أحضرت لها مدرسا خصوصيا أستمر يعلمها ثمانية شهور انها فتاة ذكية . لذلك نجحت بتفوق عندما أدت الامتحان فى مقرر ثلاث سنوات دفعة واحدة . انها الآن فى السنة الثانية بالرحلة الاعدادية ، وهى باستمرار تتفوق فى مدرستها . بالذات فى اللغتين العربية والانجليزية . ان أم كلثوم تحب نعمات ، مثلما أحبت عادل من قبل .

ولقد سألت أم كلثوم مرة : هل تعتقدين أن الزوج والزوجة هما الطرفان الوحيدان فى الاسرة ؟

قالت أم كلثوم : الزوج والزوجة هما الطرفان الاساسيان فى الحياة العائلية ، ولكنهما ليسا الطرفين الوحيدين . طبعاً هناك أطراف أخرى ، منها وجود الاطفال مثلا ، ولعل هذا ما تقصده . .

وقلت بسرعة : صحيح صحيح . هذا بالضبط ما أقصده . ولعلنى أستطيع هنا أن أسألك فى موضوعات لم يسبق لك التحدث فيها مطلقاً من قبل . مثلا : ألم يؤد عدم انجابك لأطفال الى اضعاف حياتك الزوجية ؟

وأم كلثوم ترد • ليست الفنانة ، وإنما أم كلثوم الانسانة تقول
« أبدا ، أبدا ، أبدا • بل ان هذا السبب نفسه جعل مشاعري
نحو الاطفال وحبى لهم يكبر ويتضاعف • ان أسرته كلها تعلم
مدى شعوري نحو أطفالهم وتعلقى بهم وتعلقهم بى • ان أهم
شئ اشتريته من السودان مثلا فى زيارتى الاخيرة كان نسناسا
صغيرا • نسناسا حقيقيا • لقد فرح به الاطفال جدا ، وفرحت
انا لفرحتهم • لانه لا يوجد فى الدنيا كلها ما يساوى ابتسامة
طفل وسعادة طفل • ولا يوجد أشقى ولا أسوأ من تعاسة طفل
•• ودمعة طفل ، •

• عند هذه الكلمة من أم كلثوم فقد قلمى النطق •

فى الواقع انا أعلم كم هى صادقة فى هذه الكلمات • ومن
يدرى لعل هذه المشاعر هى تعويض عن عاطفة أساسية اختفت
من حياة أم كلثوم الانسانة •

ان أم كلثوم فشلت من قبل فى أن تكون ست بيت • وفشلت
فى أن تكون ملحنة ••

• ولكن فشلها الكبير حكم قدرى •

لقد فشلت فى أبسط ما يدل عليه اسمها : ان أم كلثوم ••
لا تستطيع أن تكون أما !



أم كلثوم بين أحمد رامى وبنينا طى وعبدالوهاب!

« انها المطربة الموهوبة التي اثبتت
ان الغناء فن رؤوس وقلوب » ..
عباس محمود العقاد

ليس صحيحا ان اغنية « انت عمرى » كانت اول لقاء فنى
بين ام كلثوم وعبد الوهاب !

لقد اذيعت الاغنية فى ٦ مارس ١٩٦٤ .

ولكن ام كلثوم وعبد الوهاب غنيا معا قبل هذه الاغنية بـ ٣٧
سنة .

بل ان محمد عبد الوهاب لحن اغنية اخرى ، غنتها ام كلثوم
قبل « انت عمرى » بعشرين سنة !

لقد غنيا معا فى سنة ١٩٢٧ .

كان اول لقاء بين المطربة « ذائعة الصيت » ام كلثوم ، وبين
المطرب « الشاب » محمد عبد الوهاب .

تم اللقاء فى منزل والد المهندس أبو بكر خيرت . ان صاحب
المنزل كان من هواة الموسيقى والغناء . وكان بيته مقرا دائما
لندوات أهل الفن وسهراتهم .

وفى احدى تلك السهرات تصادف وجود ام كلثوم ومحمد
عبد الوهاب .

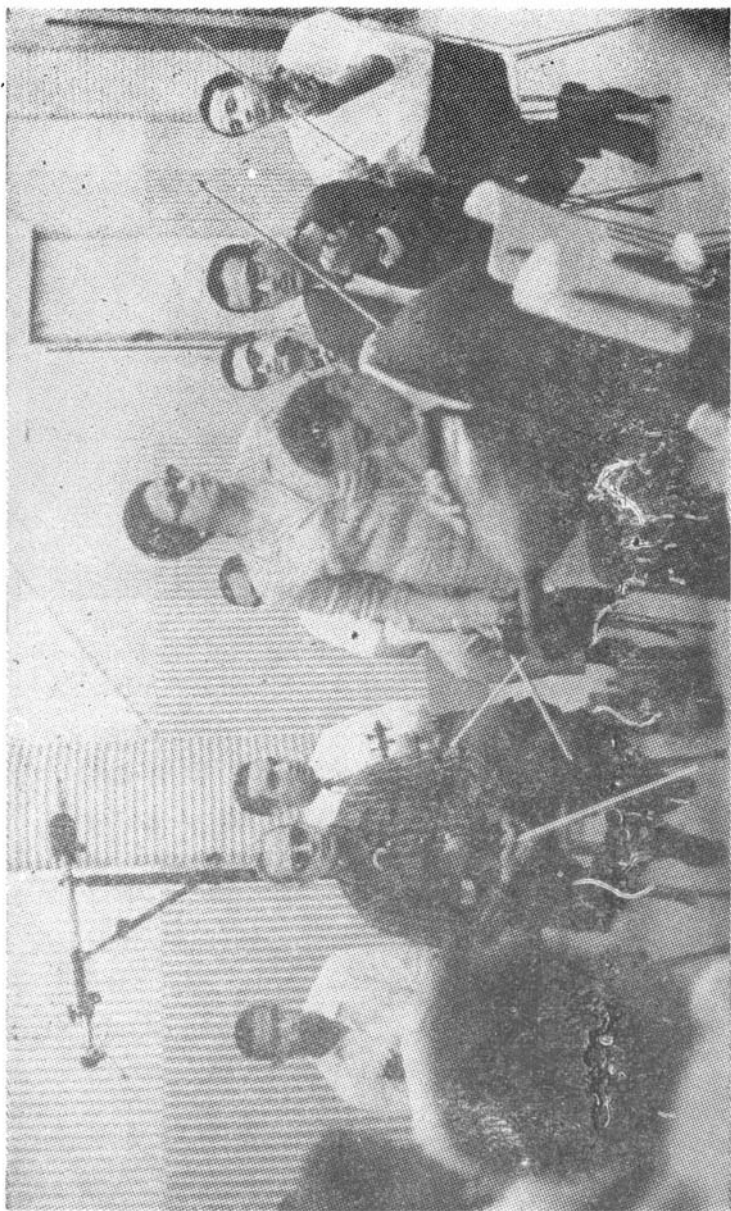
و .. غنيا معا !

غنيا مونولوجا - مشهورا وقتها - من أوبريت «العشرة الطيبة»
التي وضع ألحانها سيد درويش . وكان المونولوج من كلمات
ببيع خيرى . تقول الكلمات :

على قد الليل ما يطول ..

مسترضى بسهرى ونوحى ..

وفى حبك يالى ..



ام كلثوم مع رياض السباطي ، في برودة لانيتهما الاخيرة التي لعنها لها .

فريد الاطرش ، في
همسة منه وشعكة من
أم كلثوم



من أول ما أشوفك ..

تترد روحى ...

والمنولوج عبارة عن مناجاة غنائية بين فتى وفتاة .

وقد تبادلت أم كلثوم الغناء فيه مع عبد الوهاب . وسمعتها
ليلتها عدد كبير من أهل الفن . ومن بينهم حسن أنور وكيل
معهد الموسيقى وقتها ، ومصطفى رضا .

وحاول الحاضرون تحويل هذه المحاولة الى عمل مشترك يستمع
اليه الجمهور ..

ولكن المحاولة لم تنجح .

★ ★ ★

وفى سنة ١٩٤٤ غنت أم كلثوم من تنحين عبد الوهاب !
لقد تمت هذه المحاولة فى سهرة ضمت ترفيق الحكيم وفكرى

اباطة والدكتور عبد الوهاب مورو وكامل الشناوى والمثلة
- وقتها - كاميليا - ثم .. أم كلثوم وعبد الوهاب .
وفى السهرة سألت أم كلثوم كامل الشناوى : ألم تحرك فيك
« كاميليا » موهبة الشعر ؟

ورد كامل الشناوى بقصيدة يقول فيها :

لست أقوى على هواك ومالى

أمل فيك .. فارقى بخيالى

ان بعض الجمال يذهل قلبى

عن ضلوعى .. فكيف كل الجمال

ليلتها قالت أم كلثوم انها مستعدة لغناء القصيدة لو لحنها
عبد الوهاب .. وبالفعل .. أمسك عبد الوهاب بالعود ، ولحن
الكلمات .. التى ظلت أم كلثوم تغنيها - بناء على طلب
الحاضرين - حتى الصباح !

★ ★ ★

مرة أخرى لم تخرج هذه المحاولة الى الضوء .

ولم تتم أيضا محاولات أخرى بذلها عدد من أصدقاء الطرفين
من الصحفيين ، على أن تصريحاتهما الصحفية كانت تفيض
بمشاعر المجاملة والتمنيات الطيبة .

كانت أم كلثوم تقول : ان عبد الوهاب يكتفى بان يلحن لى على
صفحات الجرائد ..

وكان عبد الوهاب يقول : اننى اعتقد ان أم كلثوم لاتريد ان
الحن لها .

لم يكن أيهما يثق فى الآخر بما يكفى بعد لانتاج عمل غنائى
مشترك .

لماذا ؟

فى الواقع توجد تفسيرات كثيرة لذلك . ولكن التفسير الوحيد
المقبول هو تفسير بسيط . هذا هو : ان عبد الوهاب - فى
مرحلته الفنية الاولى - كان فى الدرجة الاولى مطرب .. وفى
الدرجة الثانية ملحن . كان عبد الوهاب ملحنا خصوصا لعبد
الوهاب . انه بالطبع - سيحتجز أحسن الحانه لنفسه !



ام كلثوم ، بين
التصبي وعبد صالح

وفى نفس الوقت كانت ام كلثوم مطربة . هى تغنى للجمهور،
وعبدالوهاب يغنى للجمهور . هى تقف على المسرح ، وهو أيضا
يقف على المسرح .. الخ .

وعلى ذلك فمن المتصور أن يوجد بينهما شعور بالمنافسة .
أحيانا منافسة حادة . وهى فى كثير من الاحيان منافسة يغذيها
وينميها كثير من المحيطين بالطرفين ..

★ ★ ★

ثم تغير الحال ..

تراجعت مقدرة عبدالوهاب الاولى كمطرب الى الدرجة الثانية،
وحلت محلها قدرته كملحن . مرحلة أخرى دخلها عبد الوهاب
والملحن - أى ملحن - عندما تصبح أصوات الآخرين هى وسيلته
الوحيدة للوصول الى الجماهير .. فانه يبدأ فى التفكير بطريقة
مختلفة .

ان الشعور بالمنافسة لن يمنعه الآن ، ولكن الشعور بالتكامل
هو الذى يدفعه .

وبالنسبة لأى ملحن - فما بالك بعبد الوهاب ؟ - لا يوجد
صوت أكثر اغراء من صوت ام كلثوم ، لا توجد وسيلة أخرى
أكثر ضمانا للوصول الى قلوب الجماهير ..

من هنا بدأت طبيعة العلاقة الفنية بين أم كلثوم وعبد الوهاب
•• تتغير •

ولكن العلاقة - حتى سنة ١٩٦٣ - لم تكن قد تغيرت بعد بما
يسمح بتعاونهما معا • ان آثار سنين طويلة مضت •• لم تكن
قد زالت تماما بعد •

★ ★ ★

ثم تغير الحال مرة أخرى فى يوليو سنة ١٩٦٣ •

فى احتفال ٢٣ يوليو من تلك السنة أقام نادى الضباط حفلة
ساهرة حضرها الرئيس جمال عبد الناصر • وكانت أم كلثوم
وعبد الوهاب من بين المشتركين فى الحفل •

وفى الاستراحة دعاهما الرئيس جمال عبد الناصر الى تناول
العشاء على مائدته •

وقال جمال عبد الناصر لأم كلثوم وعبد الوهاب : أين الاغنية
التي نقرأ فى الصحف أن أم كلثوم ستغنيها ويلحنها عبد الوهاب؟
الم يحن الوقت بعد لكى تتحول الاغنية من كلام تكتبه الصحف
•• الى كلام يغنيه الناس!؟

ان جمال عبد الناصر لخص فى سطرين أمنية عاشها الجمهور
أربعين سنة !

• وخلال أسابيع قليلة كان العمل قد بدأ فى الاغنية الجديدة •
كلمات اختارها عبد الوهاب أصلا لكى يغنيها هو • ولكنه
عندما بدأ يلحنها اكتشف أن : « اللحن لن يستطيع التعبير عنه
غير أم كلثوم » •

واتصل عبد الوهاب بأم كلثوم فقالت : لا مانع • تعال نبحث
الأمر معا •

ثم •• خرجت أغنية « انت عمرى » الى الناس • خرجت
كبداية فى تعاون مشترك من يومها بين أم كلثوم وعبد الوهاب •

★ ★ ★

والواقع أن الحان عبد الوهاب لأم كلثوم تمثل مرحلة مختلفة
فى تاريخها الفنى • ان عبد الوهاب نقل مستوى مناقسة الملحنين

على صوت أم كلثوم الى نقطة أكثر ارتفاعا . بل ان عبد الوهاب كان حريصا على أن يجعل المقدمات الموسيقية لأغاني أم كلثوم كعنوان الكتاب ، كخطاب العرش . فى خطاب العرش يتعهد رئيس الوزراء أمام الملك بأن حكومته ستعمل كذا وكذا ، انه يعطى هذه الوعود بعد أن يهاجم كل الحكومات السابقة . انه خطاب مليء بالوعود والآمال . ومقدمات عبد الوهاب الموسيقية فى أغاني أم كلثوم هى أيضا جدول أعمال .. قائمة وعود موسيقية طويلة !

ولقد قال لى عبد الوهاب أكثر من مرة : « ان صوت أم كلثوم يتميز بأن قماشه عريض . ان فيه جمال القرة وحلاوة القفلة ورقة الجمال » .

وعندما سألت أم كلثوم عن تعليقها قالت : هذا رأى عبد الوهاب .

- يعنى ايه ؟

- يعنى رأى عبد الوهاب !

- أنا عايز رأيك انت فى رأى عبد الوهاب ..

- لا أحب أن أتكلم عن نفسى . ان « نفسى » هى أبغض كلمة الى نفسى !



وعبد الوهاب يرى أيضا ان « .. لام كلثوم فضلين : فضلا كمغنية .. اذ أنها جمعت من مواهب المطرب كل ما يمكن للطاقة البشرية أن تجمعه . فضلا آخر كمساهمة بعقلها فى رفع مستوى كلمات الاغاني فى مصر والشرق .. فلولا عقليتها الواعية لما استطاعت أن تحتضن مثلا الشاعر أحمد رامى ، وأن تجعله يتعاون معها ويجود بالمعاني الرائعة التى تؤديها أم كلثوم أحسن أداء » .

وبينما نجد أن محمد عبد الوهاب هو أحدث ملحن تعاونت معه أم كلثوم .. فان أحمد رامى كان أول شاعر تعاون معها فى تاريخ مبكر من حياتها الفنية .

لقد غنت أم كلثوم لأحمد رامى .. قبل أن تراه .

ان أحمد رامى سافر الى باريس فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ موفدا فى بعثة دراسية من دار الكتب المصرية .



ام کلشوم تفتی تحت سطح الہرم

وقبل سفره أعطى لصديقه الشيخ أبو العلا محمد قصيدة تقول :

الصب تفضحه عيونه وتنم عن وجد شئونه
انا تكتنما الهوى والداء أقتله دفينه
يهتاجنا نوح الحما م وكم يحركنا أنينه

وعاد رامى من باريس سنة ١٩٢٤ ليجد أن قصيدته قد تحولت
الى أغنية مشهورة لحنها الشيخ أبو العلا • أغنية تغنيها أم كلثوم •

ولم تكن أم كلثوم قد أقامت فى القاهرة بعد • كانت تأتى الى
القاهرة للغناء فقط ثم تعود الى قريتها أو تغنى فى مدن أخرى •

وظل رامى ثلاثة أيام يسأل عن ميعاد أول حفل تغنى فيه
أم كلثوم •

ان أحمد رامى قد ينسى تاريخ ميلاده • ولكنه لا ينسى تاريخ
أول لقاء له مع أم كلثوم •
٢٤ يوليو سنة ١٩٢٤ •

فى تلك الليلة اشترى الشاعر الشاب - الموظف بدار الكتب -
أحمد رامى تذكرة بخمسة قروش دخل بها صالة سانتي فى
حديقة الأزبكية حيث بدأت أم كلثوم تغنى •

ويقول رامى : «كنت تواقا الى أن أسمع أم كلثوم وهى تغنى
قصيدتى • انها لا تعرفنى بعد • ومع ذلك قمت فى استحياء
أقول لها كأنها تعرفنى :

- أنا بقالى سنتين بعيد عن مصر •• ونفسى أسمع قصيدتى !
وبسرعة بديهية ردت أم كلثوم ضاحكة : أهلا سى رامى ••
حمد الله ع السلامة • حاضر !

وعندما بدأت أم كلثوم تغنى •• أصبحت أنا فى عالم آخر ••
سحرنى الصوت • سحرنى جماله • سحرتنى قوته • ولم أفق
الا على صوت صديق لى يقول لى بعد الغناء : أم كلثوم مسافرة
بكره تغنى فى رأس البر •• مش تسلم عليها !؟

وذهبت لأشكرها وأتمنى لها السلامة •

ثم بقيت طوال الاربعين يوما التالية لاستطيع سماع صوت آخر
يفغنى • الى أن عادت أم كلثوم مرة أخرى لتحى ليلة فى كازينو
البوسفور ••

مرة أخرى جلست صامتا فى مقعدى كالمسحور .

ولكن فى هذه المرة عبرت عن شعورى فى قصيدة كتبتها عن صوت أم كلثوم اقول فيها :

صوتك هاج الجوى فى مسمى
فيه صبابتى وفيه الضنى
نظمت أشعارى وغنيتها
كانما لفظك فى شدوه
وأرسل المكنسون من أدمعى
يشكرو تباريح فؤادى معى
منظومة الحباب من أدمعى
منحدر من دمعى الطيع

ولم تسمع أم كلثوم هذه القصيدة الا عندما زرتها لأول مرة فى شهر أكتوبر من تلك السنة . يومها فوجئت بطلب غريب من أم كلثوم .

قالت لى : أريد منك أن تنظم لى أغنية زجلية !

وتوقف لسانى عن النطق ! هذا طلب لا أستطيعه ولا أقبله ! اننى حتى تلك اللحظة لم أكن قد نظمت شطرا واحدا من الزجل . وحتى تلك اللحظة كنت قد أصدرت ثلاثة دواوين من الشعر ونشرت ترجمة لرباعيات الخيام عن الفارسية . لا لا . لن أكتب زجلا !

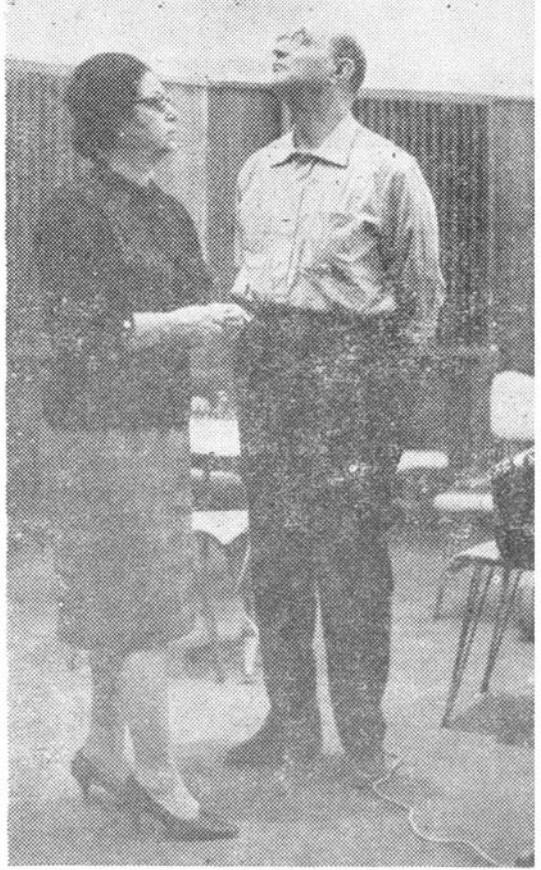
ولكن أم كلثوم استمرت فى الحديث . قالت : اننى غنيت لك من قبل قصيدة : « الصب تفضحه عيونه » . وأنا أرى أن من حق الغناء أن يظفر بخيال الشعراء فى أسلوب يفهمه العامة . حل وسط . والا . . هل يعجبك مستوى الاغانى التى تغنى فى هذه الايام !؟

عند هذه النقطة اقتنعت . وافقت على أن أكتب الزجل لأول مرة . لهذا كتبت لها : « خايف يكون حبك ليه شفقة عليه . . وانتى اللى فى الدنيا ليه ضى عنية » .

ثم استمرت فى كتاباتى لأم كلثوم . شعر مرة . . وزجل مرة . بعدها غنت لى أم كلثوم : « ياغائبا عن عيونى وحاضرا فى فؤادى » - « أيها الفلك على وشك الرحيل » - « يانسيم الفجر ريان الندى » الى أن غنت لى : « ان كنت أسامح وانسى الاسبية » . وهى الاغنية التى مثلت فى وقتها طفرة غنائية .

★ ★ ★

انتهت ذكريات رامى . ولكن علاقته الفنية بأم كلثوم لم تنته . فلقد غنت له أم كلثوم أكثر من مائتين وخمسين قطعة غنائية من



محمد عبد الوهاب
يتأمل ، وأم كلثوم
تتكلم ، أثناء بروفات
الغنية (مرت الايام)

بينها « رق الحبيب » و « ياما امر الفراق » ، « ياظالمنى »
و « سهران لوحدى » و « رباعيات الخيام » و « انت الحبيب » . الخ .
ولكن رامى - فوق علاقته بأم كلثوم كشاعر له علاقة اخرى
بها كمستمع .

فمنذ استمع اليها لأول مرة سنة ١٩٢٤ ، لم تفته أى حفلة من
حفلاتها الغنائية . لقد أصبح حريصا على أن يكون « مستمعها
الاول » . هذا تعبير رامى .

وعندما كانت أم كلثوم تغنى فى الاقاليم لم يكن غناؤها ينتهى
قبل الثانية صباحا . فكان رامى يخرج من الحفلة جريا الى

محطة السكة الحديد حتى يلحق بقطار الصحف ويعود الى عمله
بالقاهرة فى الصباح الباكر .

وحينما بدأت أم كلثوم تسجل للاذاعة فى الثلاثينات .. كانت
تأخذه لكى يستمع اليها اثناء التسجيل فى الاستوديو ، بشرط أن
يجلس صامتا تماما . كانت أم كلثوم تفعل ذلك حتى يكون رامى
امامها رمزا للجمهور فى خيالها ، جمهور ضامت .

وكان رامى - طوال عمله بدار الكتب - يستعير لأم كلثوم من
الدار كل دواوين الشعر العربى القديم وكتب الادب .. ثم يناقشها
معا . وقد أشارت أم كلثوم لمجهود رامى هذا فى مكان آخر .

أما أحمد رامى فيقول : « .. اننى مدين لأم كلثوم بنشر
شعرى . ان أقصى رقم وزع من أى ديوان طبعته كان خمسة
آلاف نسخة . ولكننى أصبحت معروفا للملايين من خلال صوت
أم كلثوم . ان اسطوانة (ان كنت أسامح) مثلا وزعت أكثر
من نصف مليون نسخة !

ويقول رامى أيضا : اننى كنت أستفيد كثيرا من التعديلات
التي طلبها أم كلثوم فيما أكتبه . ففى أغنية « دليلى احتار »
مثلا ، طلبت أم كلثوم تكرار جزء من المطلع يقول : وبين قريك
وخوفى عليك .. دليلى احتار .. وحيرنى .

وفى أغنية « قصة حب » كنت قد كتبت بيتا أقول فيه :

عشت فيها بيقينى ثم عاشت فى ظنونى .

ولكن أم كلثوم قالت ان هذا البيت فيه فجوة . وانه يحسن
أن أوضح كيف عشت فى ذكرياتى بيقينى ، ثم كيف عاشت هذه
الذكريات فى ظنونى .

ولذلك أعدت كتابة البيت فأصبح كما يعرفه الناس الآن :

عشت فيها بيقينى وهى قرب ووصال

ثم عاشت فى ظنونى وهى وهم وخيال

والواقع ان رامى معه الحق فى نقطتين بالذات :

★ ان أم كلثوم نشرت بغنائها الذوق الرفيع فى اللغة .

★ ان شخصية أم كلثوم تمتد الى الكلمات التى تغنيها .



زكريا احمد يستمع
من وراء الكواليس لآخر
اغنية لعنها لام كلثوم

لقد لخص عباس محمود العقاد هاتين النقطتين عند ما كتب
يقول عن أم كلثوم « ٠٠ أنها المطربة الموهوبة التي أثبتت أن الغناء
فن رؤوس وقلوب وليس بفن حناجر وأفواه فحسب . فهي تفهم
ماتغنيه . وتشعر بما تغنيه ، وتعطيه من عندها نصيبا وأفيا الى
جانب نصيب المؤلف ونصيب الملحن » ٠٠

وأستطيع أن أقول كلمات العقاد بطريقة أخرى : ان اغاني
أم كلثوم هي الصدى الصوتي لأم كلثوم . أما الكلمات - كلمات
الاجاني - فهي الصدى العقلي لأم كلثوم .

لقد غنت أم كلثوم للمحنين كثيرين : الشيخ أبو العلا - داود
حسني - فريد غصن - أحمد صبري - محمد القصبجي - زكريا

أحمد - السنباطى - عبد الوهاب - بليغ حمدى - محمد
الموجى - الطويل .

وغنت لشعراء كثيرين : أحمد شوقى - حافظ ابراهيم -
رامى - بيرم التونسى - ابراهيم ناجى - أحمد شفيق كامل - مرسى
جميد عزيز - عبد الوهاب محمد - جورج جرداق . الخ .

وفى كل مرة كان عقل أم كلثوم يتحول الى معمل . الى جهاز
يقارن ، يختار ، يعدل ، يضيف ، يحذف ، يقرر . .

لقد عدلت مثلا فى كلمات الشاعر أحمد شوقى . قصيدة « الى
عرفات الله » مثلا . يقول المطلع الاصلى : عليك صلاة الله يا ابن
محمد . الاشارة هنا الى الخديو . ولكنها غنته : عليك سلام الله
يا خير زائر . وفى نفس القصيدة اصطلمت بكلمة : « العرصات » .
كلمة قد يستهجنها البعض فاستبدلتها بكلمة « الشرفات » .

وفى قصيدة ابراهيم ناجى : « الاطلال » اضافت الى القصيدة
الاصلية هاتين الشطرتين :

هل راي الحب سكارى مثلنا كم بنينا من خيال حولنا
ثم هذا البيت :

وانتبهنا بعد مازال الرحيق وافقنا . . ليت انا لانفيق

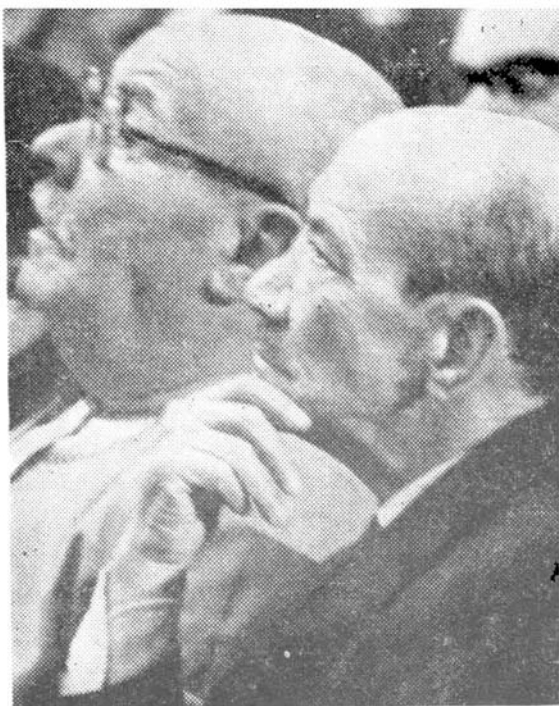
لقد كتب الشاعر هذين البيتين اصلا فى قصيدة اخرى بعنوان :
« الوداع » . ولكن أم كلثوم اضافتهما الى قصيدة « الاطلال » ،
وبطريقة لا تستطيع اكتشافها من اول مرة .
ان الامثلة كثيرة . .

والمهم ليس هذا التعديل . المهم ان يكون التعديل الى احسن .
الى ارق . .

ان أم كلثوم فى حرصها على تعديل - ثم اعادة تعديل - الكلمات
قبل ان تغنيها انما تضع ايدينا على مفتاح آخر لفهمها . جانب
آخر من شخصيتها الغنائية . جانب لم يكتشفه حتى الآن غير عدد
قليل من الذين عملوا معها . .

ان ماتبحث عنه أم كلثوم هو الشيء الجديد . تبحث عن فكرة ،
معنى ، تعبير ، جملة ، أو - حتى - كلمة ؟ انها تفعل ذلك نيابة
عن مستمعيها . صفة ضرورية جدا لكل مطرب يريد النجاح ،
أو الاستمرار فى النجاح .

أم كلثوم يعجبها مثلا تعبير تقول فيه « بافكر فيك . . وانا ناسى »



احمد رامى
المستمع الاول

أو « عزة جمالك فين .. من غير ذليل يهواك » أو « واحشنى
وانت قصادعينى » أو « أغمض عينيك حتى قرانى » تعجبها اغنية
تتلاعب فيها بكلمات تقول « يسقيننا الهنا .. ويقول بالهنا » أو
« ياما عيون شاغلونى .. لكن ولا شغلونى » ..

تعجبها صورة دقيقة الظلال يرسمها الشاعر بقوله :

ما بين بعدك وشوقى اليك
ويين قربك وخوفى عليك
ذليلى احتسار .. وحيرنى

تعجبها صورة تركز صراعا نفسيا حادا فى أربع كلمات تقول :
« غلبت اصالح فى روحى » أو فى خمس كلمات تقول « اكاد اشك
فيك وانت منى » ..

أم كلثوم تحب أن تتذوق التعبيرات القوية المركزة . تعبيرات
مثل « ظالم الحسن » أو « هل رأى الحب سكارى مثلنا » أو

الثوانى جمرات فى دمي » ، تعبيرات تصور نفس المعنى بأسلوب مختلف . مرة بقولها « أنت أقرب منى ليه .. حتى وانت بعيد عليه » ، ثم مرة أخرى « وانت معايا يصعب عليه .. رمشة عينيه ولا حتى ثانيه » ..

لهذا السبب اقول ان مفتاح الشاعر الى صوت أم كلثوم هو عقلها . والمفتاح الى عقلها هو الكلمة الجديدة .. الجملة الجديدة .. الصورة الجديدة . مسألة عبر عنها أنكى صديق لأم كلثوم بقوله : « .. لو كنت شاعرا لكتبت ديوانى على شفتى أم كلثوم » سوء حظ ، فالكاتب هنا ليس شاعرا ، ومع ذلك فهذا أجمل تعبير قرأته لكاتب عن أم كلثوم ..

والواقع أن محاولة أم كلثوم للتذوق لا تقتصر على الكلمات التى تغنيها فقط ، وانما تمتد الى اللحن أيضا . وان زكريا أحمد - الفنان الموهوب الراحل - عندما عبر عن ذلك فى مذكراته كتب يقول أن أم كلثوم « .. عندما تجلس الى ملحن أغانيها أو يجلس اليها ، لا تكفى بأن يقدم لها لحنا واحدا أو اثنين أو ثلاثة .. وانما هى تريد أكثر من ذلك . وقد تطلب من الملحن أن يلحن الكوبليه الواحد مرات متعددة ، وتتظاهر بعدم قبول هذه الاطمان .. وتنتظر بعد أن تختار واحدا من الألحان المقدمة بنسيان ما تقدم للأغنية الواحدة من الحان .. وتجدد فى معظم الاغاني بالحن جديدة تبدو للمستمع الجديد أنها وليدة الساعة .. وان كانت مخزونة فى أعماق ذاكرتها من بعيد » ..

.. مرة أخرى يكتب زكريا أحمد قائلا : « .. وذات مرة قدمت لها أغنية بثمانية الحان مختلفة ، لاتيح لها فرصة الاختيار فى الوقت المناسب أو فى الاوقات المناسبة .. اننى اعتبر أن أم كلثوم (أوسطى) من خيرة (أسطوات) الفن .. وصائفة من أمهر صائغات الغناء .. ولهذا فقد اخصصتها بأكثر من ستين لحنا ليس فيها لحن يشبه الآخر فى تلحينه » ..

والواقع أن زكريا أحمد لحن لأم كلثوم عددا من أروع وأحب أغانيها عند الناس .. لحن لها « أنا فى انتظارك » و « أهل الهوى » و « الامل » و « غلبت أصالح فى روحى » و « الآهات » و « هو صحيح الهوى غلاب » و « رق الحبيب » .. الخ .

وخلال أحاديث طويلة متعددة لمست من أم كلثوم وفاء بالغا لعدد من الذين صاحبوها فى حياتها الغنائية ، من بينهم - بل



ام كلثوم مع فرقتها فى بروفة قبل الحفلة

على رأسهم - زكريا أحمد .. شعور تبادلته زكريا أحمد معها منذ أول لحنين قدمهما لها فى سنة ١٩٢٥ وهما « اللي حبك ياهناه » من تأليف أحمد رامى و « هو ده يخلص من الله » تأليف بديع خيرى ..

من هذا اليوم - يقول زكريا أحمد فى مذكراته - أصبحنا « .. القصبجى وداود حسنى وأنا نلحن لها حتى قدم لها مسيو بارو مدير شركة أوديون الاستاذ رياض السنباطى : ومنذ هذا اليوم أصبح ملحنو أم كلثوم هم السنباطى والقصبجى وأنا ، ..

السنباطى ١٩٠٠!

نعم .. هذا هو الاسم الذى كتبه زكريا أحمد . ان هذا الاسم مضلل . انه لا يدل باى حال على كل الرقة ، كل الجمال ، الذى تعبر عنه الحان السنباطى لام كلثوم ، ان أم كلثوم تؤمن بالتخصص ويبدو أن هذا هو السبب فى أنها تسند الى السنباطى القصائد الصعبة - أحيانا الصعبة جدا - لكى يقوم بتلحينها .

لقد التقت أم كلثوم بالسنباطى وهى صغيرة ، فى الواقع أنها كانت ليلة ممطرة على محطة سكك حديد الدلتا فى قرية قرين

بالدهلية ، كانت أم كلثوم ماتزال فتاة صغيرة تضع العقال فوق رأسها . وفى تلك الليلة وقفت بين أبيها وشقيقها وقدم والد رياض السنباطى وبرفقته ابنه رياض ، أن الابوين الشيخين كانا يتحذنان معا عن الرزق ، فالغناء هو ميدان عمل كل منهما . بعد تلك الليلة لم يلتق السنباطى بأم كلثوم الا بعد سنوات عديدة فى شركة كايروفون . حيث كان السنباطى قد أصبح يعمل مدرسا بمعهد الموسيقى العربية . وأم كلثوم نجمة مشهورة فى المنطقة بأسرها ، من هذا اللقاء بدأت الحان السنباطى لام كلثوم . واستمرت حتى الآن ، الحان تتفوق على نفسها . خذ مثلا لحن « الاطلال » أو « دليلى احتار » أو « هلت ليالى القمر » أو « يالى كان يشجيك أنينى » أو « رباعيات الخيام » أو « هجرتك » خذ أيضا أغنية « يا ظالمى » وقصيدة « ولد الهدى » وأغنية « لسة فاكر » و « أروح لمين » و « سهران » . آه . تصور أن السنباطى وضع لحن أغنية « سهران » فى سنة كاملة ! هذا هو السنباطى . لحن واحد كل سنة !

بعد أن يضع السنباطى اللحن تبدأ جلساته مع أم كلثوم . هذه كلماته هو : « أحيانا نجلس فى حجرتها الزجاجية اذا كنا فى الشتاء نهارا كاملا بلا طعام ، بلا ماء ، بلا تليفون ، بلا زوار . ان، أم كلثوم تستغرق الوقت كله فى اجراء بروفة على كوبليه واحد فقط ، فأم كلثوم لا تغنى اللحن العادى أو الكلام العادى . فاللحن الذى يوضع لام كلثوم أشبه ببناء السد العالى . وتمر الايام على هذا المنوال أسابيع ثم شهورا نضع فيها لحنا يخرج الى الجماهير فتلقيه بالحب والاعجاب » .

ان أم كلثوم تسمى السنباطى بالعبرى . وفى أكثر من مرة كنت ألس منها تساؤلها عن السبب فى أن الصحف لاتعطى للسنباطى حقه من التقدير كما تعطى لغيره . مازال التساؤل قائما .

★ ★ ★

ان محمد القصبجى وزكريا أحمد ، ان عبد الوهاب والسنباطى ، أحمد شوقى واحد رامى ، ابراهيم ناجى وأحمد شفيق كامل ، بيرم التونسى ومأمون الشناوى . كل هؤلاء - وغيرهم كثيرون - انما يضعون أيدينا فى النهاية على عدة ملاحظات تتعلق بهذا الجانب من شخصية أم كلثوم .

● **فأولا :** ان كل لحن ، كل قصيدة ، تغنيها أم كلثوم هي في الواقع قطعة من نسيج طويل متصل الخيوط . نسيج يمثل صدى افكار ومشاعر أم كلثوم نفسها . انه صدى . . انه صورة . . انه اختيار . . انه تعبير من وعن شخصية أم كلثوم نفسها .

● **وثانيا :** انك لا تستطيع أن تقارن بين ملحن وملحن - بين شاعر وشاعر فبينما تغنيه أم كلثوم لكل منهما . لا تستطيع ، لان المقارنات هنا - برغم فائدتها أحيانا - تصبح مضللة .

● **وأخيرا . .** فان دراسة عدد من الملحنين والشعراء الذين تعاونوا مع أم كلثوم . . مازال أمرا هاما بالنسبة لدراسة أم كلثوم نفسها . دراسة تمثل في النهاية . . بابا خلفيا للشخصية التي تجمع بين هؤلاء جميعا : أم كلثوم .



أم كلثوم بين الفن والياسة!

- ان أم كلثوم غنت واحبت فاستمرت
- في سنوات لا يستمر فيها احد!

لكى نحب

بلدنا .. يجب أولا أن تحبنا بلدنا . حب بغير شروط . بغير تحفظات . تماما كحب الأم لطفلها . ان الأم لا تحب طفلها عندما يكون هادئا ، وتكرهه عندما يكون شقيا . لا تطعمه عندما يطيعها ، وتجيعه عندما يخالفها . لا .. الأم تحب طفلها فى كل لحظة ، كل ساعة . كل سن . انها تحبه - ليس لانه حقق لها رغباتها - ولكن لمجرد أنه طفلها .. هذا يكفى . انها لا تستغل حاجته اليها . لا تستغل سلطتها عليه . انها لا ترهبه . لا تخيفه . ولكنها تغريه . تشجعه . تدفعه . انها تقدم له حبها بغير ثمن . وبدون مقابل .. بلا تعويض .. انها تعطيه حبها خالصا .. على بياض .

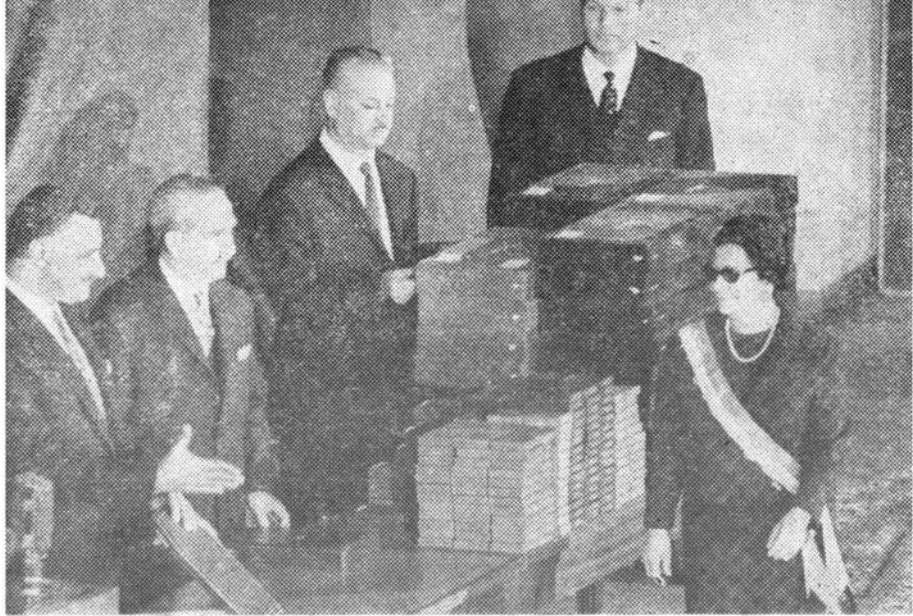
و ...

لقد أعطت بلدنا - أمنا - حبها لام كلثوم على بياض .. بلا تحفظات .. هذا واحد من الامثلة القليلة النادرة فى حياتنا العامة . استثناء . لقد تصرفت الأم هنا بحكمة . احبت طفلتها بلا حدود . فكانت النتيجة أن الطفلة احبت أمها . والفنانة احبت جمهورها . و .. أم كلثوم احبت بلدها .. حبا بغير حدود .

وخلال سنتين اثنتين دارت أم كلثوم حول الكرة الارضية مرتين! من باريس الى المغرب . من تونس الى لبنان . من السودان الى ليبيا . من الكويت الى طنطا . من المنصورة الى دمنهور . من الاسكندرية الى القاهرة .

وفى كل مرة كانت أم كلثوم تعود الى القاهرة كانت تعود بمبلغ ضخم فى يدها ، وحب ضخم فى قلبها . لقد غنى صوتها بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ غنى صوتها .. وجمعت يدها الحصيلة .

الحصيلة هى مليونان من الجنيهات قدمتها أم كلثوم لبلدها فى سنتين . تبرع اختيارى . مساهمة عاجلة . تبرع من الجمهور الى فنائه . ومساهمة من الفنانة لبلدها .



الوسام والجائزة .. تتلقاها أم كلثوم من
الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في مناسبة
الاحتفال بعيد العلم سنة ١٩٦٥

ولكن حب أم كلثوم لبلدها أهم من تبرع جمهورها لها . العاطفة
هنا أهم من النقود . القدوة أهم من المال .

ان مصر أحببت أم كلثوم بغير حدود ، فأحبتها أم كلثوم بغير
حدود . عرفان بالجميل . تقدير لعواطف متراكمة . وفاء
لحب سابق .

انك سوف تلمس مظاهر هذا الوفاء دائماً في كل حديث
لأم كلثوم . عندما يهتف لها الجمهور في المغرب مثلاً فهي تقول :
« .. كل هذا الحب لمصر . كل هذا الهمام من أجل مصر ..
وليس من أجلى » .

قبلها تقول في باريس : « أنا مجرد مواطنة مصرية . لم أعمل
شيئاً أستحق عليه كل هذا النجاح . ان بلدي هي صاحبة الفضل
الاول في نجاحي » . هكذا تقول أم كلثوم في باريس .. في
السودان .. في الكويت .. في ليبيا .. في لبنان ، في كل

بلد خارج الحدود تعبر أم كلثوم عن وفائها للحب الذى تلقته داخل الحدود . فى كل عاصمة تعلن أنها عظيمة لان شعبها عظيم . ساحرة لان بلدها ساحر . تكافح بصوتها لأن بلدها يكافح بسلاحه .

عند هذه النقطة - هذه النقطة بالضبط - انتقلت أم كلثوم الى قمة أخرى . قمة ثانية . من قمة الغناء الى قمة الوطنية . من قمتها كمغنية ، الى قمتها كفرد عادى . تصور .! الفرد العادى يستطيع هو الآخر أن يكون قمة فى سلوكه ، فى عمله ، فى تصرفاته ، فى مساهمته لبلده .

لقد فعلت أم كلثوم ذلك فى المرحلة التى لم تعد تحتاج فيها الى اثبات شىء جديد . انها تغنى ، وهى قمة حينما تغنى . انها فنانة ، وهى قمة فى فنها . هذا يكفى . لا هذا لا يكفى . كما اثبتت أم كلثوم . لقد تاكدت قيمتها كفنانة .

بقى أن تتأكد قيمتها كفرد عادى . هذا ضرورى فى فترة سوف يكون الفرد العادى هو بطلها . فترة بدأت بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ .

ففى صراع مرير لتصحيح الهزيمة أمام اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، سوف يكون الفرد العادى هو دائماً البطل . هو القدوة . هو النموذج . انه - بعمله ، باجاداته لعمله ، بقدرته فى سلوكه - سوف يحسم فى النهاية معركة طويلة ، ويسوى حسابا مفتوحا ، مع اسرائيل .

هنا بالضبط بدأت أم كلثوم تضرب المثل فى سلوكها كفرد عادى . لقد تراجع الفنان هنا الى الخلف وأفسح مكانه للفرد العادى . تراجع صوتها الى مجرد وسيلة نحو هدف أكبر : تعبئة العواطف بالتحضية ، وتعبئة الخزائن بالنقود ، وتعبئة البنادق بالرصاص . هنا بالضبط بدأت شخصية أم كلثوم تنمو فى اتجاه جديد . بدأت تنمو فى السن التى يتكرر فيها الجسم ويتجمد الوجه وتتساقط الاسنان وتنطفىء الذاكرة . هنا تعود أم كلثوم شابة من جديد . فى السن التى تتدهور فيها الصحة ، وينكمش العقل ، وتضعف الرؤية ، وتتناقل الخطوات . بدأت أم كلثوم تسرع خطواتها الى هدف جديد .

فى السن التى يتحول فيها الماضى الى حاضر ، السن التى يبدأ فيها الانسان يجتر ماضيه ، يبدأ فى الحياة على سمعة ماضيه ، بدأت أم كلثوم تعيش على سمعة حاضرها ، وسمعة مستقبلها .

فى هذه المرحلة ، هذه السن ، هذه الظروف ، بدأت أم كلثوم
تصعد من جديد الى قمة جديدة • قمة خالية •

فى هذه المرحلة ، هذه الايام ، بدأ الجزء الفنى فى شخصية
أم كلثوم يتراجع الى الخلف ، مفسحا مكانه الى الجزء الاساسى
فى شخصيتها ، الجزء الوطنى •

من الآن فصاعدا سوف تصبح مواطنة أولا ، وفنانة بعد ذلك ،
المواطنة تقرر ، والفنانة تنفذ القرار •

من الآن فصاعدا سوف تغنى أم كلثوم • • ولكن لصالح تبرعات
ازالة آثار العدوان • • أو لصالح تعمير مدن القناة • • أو لأى
عمل يخفف عن بلدنا آلام الهزيمة ويساهم فى جهود النصر • •

من الآن فصاعدا سوف تحرص أم كلثوم على أن تكون مصرية
بنسبة ١١٠٪ ، بعد أن اثبتت أنها فنانة بنسبة مائة فى المائة •
ثبتت بعملها ما غنته من قبل بصوتها : « بنى الحمى والوطن
• • من منكمو يحبها مثلى أنا ؟ » • •

من الآن فصاعدا لن تكون أم كلثوم مجرد فرد • مجرد جسم •
مجرد انسان تأكل وتنام وتغنى وتستريح البال • • لا • انها - من
هذه الدقيقة - سوف تصبح مواطنة تفكر • وتحمل الهموم وتجمع
القرش فوق القرش لكى يصنع بلدها الرصاصة فوق الرصاصة •

من الآن فصاعدا سوف تجمع أم كلثوم كل قرش لكى تعطيه
لبلدها • ألف جنيه ، عشرة آلاف جنيه ، مائة ألف ، نصف مليون ،
مليون ، ٢ مليون جنيه ! هذا هو الرقم الذى وصلت اليه أخيرا
التبرعات والايادات التى جمعتها أم كلثوم خلال سنتين •
تبرعات اختيارية • تبرعات قدمها الجمهور الى بلده بوساطة
أم كلثوم • قدمها خلال عشرين حفلة غنت له فيها أم كلثوم •

والسؤال الآن : لماذا ؟

لماذا كل هذا النجاح ؟

لماذا الآن • • لماذا بهذه السرعة • • بهذا الاقبال ؟

ان جزءا من الاجابة سوف نجده فى شخصية أم كلثوم نفسها •
ولكن الاجابة الكاملة سوف تجدها فى تفسير آخر •
تفسير فنى لعمل سياسى قامت به أم كلثوم •



البكباشي انور
السادات مع أم كلثوم،
على سلم الطائرة قبيل
سفرها إلى أمريكا للعلاج

لقد أعطت أم كلثوم نموذجا لما يستطيع الفنان - والفنان فقط -
أن يفعله لبلده • نموذجا شهده التاريخ من قبل مئات المرات ••
وسوف يشهده مئات المرات ••

أن الفنان هو - في الواقع - أكثر من يحب بلده من أبناء
بلده • الفنان يستطيع أن يحب بلده في ساعة حبا لا يستطيعه
غيره في سنة • الفنان - أديبا أو موسيقيا أو رساما أو كاتباً
أو صحفياً أو مطرباً - يستطيع أن يترجم لك الوطنية إلى أشياء
بسيطة مفهومة • إلى هواء نقي تننفسه ، وأرض حرة تعشقها •
أن الجمهور عند الفنان سواء : الشاب والعجوز ، المرأة والرجل،
اليمنى واليسارى ، الرجعى والتقدمى • كل هذه التقسيمات
تختفى من قاموس الفنان ليحل محلها تقسيم آخر مختلف :
مواطنون يحبون بلادهم •• وأعداء يحتلون أرضهم ••

بهذا المعنى تتحول السياسة عند الفنان الى شيء خال من التعقيد
والفلسفة . السياسة هنا هي الدفاع عن الارض . دافع عن
حياتك . عن سمائك . عن هوائك . عن بلدك . دافع عن أرضك .

فى هذه النقطة يقف الفنان فى المقدمة . انه ليس خلفنا ، ليس
بجانبنا ، انه امامنا ، لأن الفنان - يقول مكسيم جوركى - هو
أكثر البشر التصاقا بالارض .

لهذا السبب فان الشخص عندما يصبح فنانا فانه يتحول الى
نموذج . الى رمز . رمز لكل ماهو جميل وباق ومحبوب ومستمر
فى بلده ..

ولقد بدأت شخصية أم كلثوم تحمل هذه البذور منذ فترة
طويلة مضت ، لقد دخلت الى المسرح تغنى مرة فى شهر فبراير
سنة ١٩٤٩ ، ولكنها قبل أن تغنى فوجئت بضابط يستوقفها
ليقدم اليها خطابا مغلقا . ماهذا الخطاب ؟ ماذا بداخله ؟
ورقة ؟ آه .. ما هو المكتوب فى الورقة ؟ مش معقول .. انه
رجاء يقدمه اليها ضباط وجنود الفرقة المصرية المسلحة التى
يحاصرها الاسرائيليون فى الفالوجة « نريد أن نسمع منك فى حفل
الليلة المذاع بالراديو اغنية غلبت اصالح فى روحى » ! قطعة
غنائية تحولت الى مهمة وطنية . ليلتها قطعت أم كلثوم وصلتها
الاولى لتقدم الاغنية المطلوبة كما لم تغنها من قبل ..

وفى حرب ١٩٥٦ كانت القنابل تتساقط على محطات ارسال
الاذاعة ، والانوار مطفأة داخل استوديوهات الاذاعة نفسها ،
ولكن أم كلثوم دخلت الاستوديو لتحفظ أغانيها للمعركة وتسجلها
على ضوء الشموع ..

وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ لم تنتظر أم كلثوم الدعوة من أحد
لكى تؤدى دورها - واجبها - كمواطنة ، كفرد عادى . لقد
بادرت بالدعوة الى اقامة تجمع وطنى للمرأة المصرية .. تجمع
يساهم بأى مجهود لترميم - ثم تعبئة - المشاعر الوطنية للمرأة
المصرية بعدها قادت الحملة لجمع تبرعات المواطنين ، الذهب ،
الاموال الهدايا .. أى مبلغ ، أى هدية ، أى رمز .. يكفى
للتعبير عن مساهمتك لبلدك .. دور بدايته أم كلثوم مبكرا بعد
النكسة . مازال الدور مستمرا ..

وفى كل الاحيان كان المعنى اكبر من المبالغ المتجمعة، الرمز اكبر
من المال . خذ مثلا تلك العروس التى ذهبت لحضر حفل أم كلثوم

بمدينة المنصورة (فبراير ١٩٦٨) حفلا أقامته أم كلثوم لصالح تبرعات إزالة آثار العدوان .. ان العروس قدمت دبلة زواجها لكي يجرى عليها مزاد فى الحفل ، وفى لحظات تسابق الجميع على شراء الدبلة دون أن يسترد أحدهم الرقم الذى عرضه ونسخه آخر ، ان الدبلة ثمنها جنيه ، ولكنها بيعت بألفى جنيه !!

وقبل أن تمضى خمس دقائق على هذا الرقم فكرت طفلة صغيرة كانت تجلس بنفس الحفل ، لقد تقدمت الطفلة بحفنة من تراب المنصورة فى كيس صغير من الحرير لكي يجرى عليها المزاد بنفس الطريقة التى جرى بها على دبلة العروس ، فى لحظات بيعت حفنة التراب بثلاثة آلاف جنيه .. هذا ترابنا .. أرضنا .. نفديها بمالنا .. بحياتنا .. هذا هو المعنى الذى استطاع الفنان - استطاعت أم كلثوم - أن تحوله الى رمز ونموذج ..

و .. :

هذا هو الجانب الآخر فى شخصية أم كلثوم ، الجانب الذى يجب أن ينتهى اليه كل تقييم لأم كلثوم ، لقد تابعنا - طوال صفحات الكتاب - شخصية أم كلثوم من زوايا عديدة : أم كلثوم عندما تغنى عندما تختار ما تغنيه ، وعندما تستريح مما تغنيه ، أم كلثوم على المسرح .. وفى البيت .. مع المستمع .. ومع الشاعر والممثل .. ثم - الآن - أم كلثوم كشخصية وطنية ، كفرد عادى ..

انها جوانب مختلفة من حياة أم كلثوم وشخصيتها ، ان الصفحات السابقة قامت « بتفكيك » شخصية أم كلثوم وحياتها . والصفحات القادمة ستحاول إعادة ربط شخصية أم كلثوم وحياتها من جديد .

ان ما يهم فى حياة أم كلثوم ليست الطريقة التى تروىها بها ، ولكن الطريقة التى عاشتها بها . ان ما تحتاج امرأة أخرى الى اختراعه .. تجربته هى .. ما تنسجه أخرى من الخيال .. مارسته هى .. ما تحلم بنصفه أى امرأة .. حصلت عليه أم كلثوم كاملا ، انها غنت كما لم يغن أحد ، فاستمع اليها الجمهور كما لم يستمع لأحد ، ان بلدها أحبها كما لم يحب أحدا ، فأحبت هى بلدها كما لم يحب أحد ، انها - باختصار - غنت وأحبت فاستمرت .. فى سنوات لا يستمر فيها أحد ! ..

ان السبب فى هذا كله كان بسيطا بقدر ما كان صعبا : انها استطاعت أن تخلص وتركز وتمثل مشاعر جمهور كامل على



غناء ورقصي شعبي في المغرب .. احتفالا بام كلثوم

امتداد جيلين أو ثلاثة ، ظاهرة مالوفة فى حياة كل شعب ، ففى
أوقات معينة من التاريخ يستطيع شخص واحد - فنان واحد -
أن يكون رمزاً لذوق شعبه ومشاعره ..

هذا ما فعلته أم كلثوم . فعلته فى القاهرة .. وفى الخرطوم ،
فعلته فى المغرب ، فى الكويت ، فى تونس ، لبنان ، ليبيا ، فعلته ..

حتى فى هونج كونج ، حتى فى كندا !

ان هونج كونج هى بلد الغرائب . ولكن الغريب بالنسبة لى
كان ما يلى . سيدة مصرية متزوجة . انها متزوجة من مدير
فندق هيلتون بهونج كونج .. انها مقيمة هناك منذ أربع سنوات .
شقة أنيقة فى الدور الثالث من الفندق .

وقبل ان اغادر هونج كونج سألت السيدة المصرية مجاملاً :

- ألا تريدين أى شىء من مصر ؟

ردت السيدة بلهفة : آه .. أرجوك !

- ماذا ؟

- أسطوانات . أسطوانات أم كلثوم . ان أحدث أسوانة
عندى هى « أنت الحب » . أريد أسطوانات كل الاغانى التالية
لها . لاتنس .. أرجوك لاتنس !

★ ★ ★

ومن هونج كونج فى الشرق الاقصى - ألى كندا فى أقصى المغرب ،
تكررت لى نفس التجربة !

لقد ذهبت الى كندا مرة فى مهمة صحفية ، ان كندا بلاد بعيدة
.. بعيدة .. بلاد تفصلنا عنها صحراء وبحار ومحيطات و ١٧
ساعة بالطائرة ، بلاد نأتمنها على أربعين ألف مواطن عربى
يعملون هنا .. ويعيشون هناك ..

اننى سوف أنسى أشياء كثيرة قبل ان أنسى لقاءاتنا كل ليلة فى
أحد المطاعم المملوكة للعرب بمدينة مونتريال ، مطعم صغير ،
ولكنه كان كبيراً جداً بالنسبة لنا ، لان صاحبه يمتلك عدة شرائط
سجل عليها أحدث أغانى أم كلثوم ، (أحدث هنا تساوى عشر
سنوات مضت !) - كنا نلتقى كل ليلة - مجموعة من المواطنين



مصر التي في خاطري وفي همي ..

العرب .. وانا .. ثم .. نبدا فى سماع اغانى أم كلثوم . شىء واحد أجمعنا عليه . أن بلادنا كلها تعيش فى هذا الصوت . نيل مصر ، جبال لبنان ، تلال الاردن ، لهيب الجزائر ، سحر المغرب ، حضارة بغداد ، تاريخ القاهرة ، عمق المحيط ، صفاء السماء ، اتساع الصحراء ..

وأحيانا كان هذا كله يختفى عندما يتعطل جهاز التسجيل .. لحظتها يسكت هذا كله . يتحول الى صدى . ذكرى . أمل . والى أن ينجح أحدنا فى اصلاح الجهاز .. فان كل لحظة تزن فوقنا كجبل . ثم .. يعود الصوت . تعود بلادى ، بلاده ، بلادهما ، بلادنا ..

كيف حال بلادنا ؟

بلادنا تستعد .. شبابنا يحارب .. أرضنا ترويهما الدماء ..
واسال أم كلثوم : ماذا تقرئين الآن ؟ ..
وهى ترد : قصيدة شعر لنزار قبانى . يقول أحد ابياتها ..
الى فلسطين طريق واحد يمر من فوهة بندقيّة

هنا تقول أم كلثوم : ان القضية قضية أرض فلسطين لم تكن أرضا خالية من السكان . فلسطين كانت شعبا يملك الأرض . والشعب يجب أن يعود . ليست المسألة احسانا يقدمه العالم الى اللاجئين . أن فدائينا كسبوا لنا فى سنة ما لم تكسبه لنا اصواتنا فى عشرين سنة ..

واسال : أم كلثوم .. ماذا تتصورين أننا نحتاج اليه الآن؟ ..
وام كلثوم ترد : رصاص .. وعمل ..
هذا كل شىء ..
هل نحتاج الى شىء آخر ؟ ..!

الدكتور طه حسين مع ام كلثوم





ماذا يبقى من أم كلثوم أو محاولة لفهم الشخصية الفنية

« لا يهمني من يضع للناس شرائعهم
مادمت أنا الذي أصنع لهم أغانيهم »
كونفوشيوس

.. لا المرأة! ..
عندما يصاب كل كتاب التاريخ المصرى
بفقد الذاكرة! ..

فأى شخص يتعرض لتاريخ المرأة فى مصر لن يجد نمونجا
واحدا لامرأة يحييها المؤرخون ، أو حتى يؤرخ لها المؤرخون! ..
فالمرأة عندما ظلت لفترة طويلة صورة ملحقة بأصل أكبر منها
وأهم : الرجل ..

المرأة فى تاريخنا ظل . خيال . صدئ . ان المؤرخين لايتحدثون
عنها الا من خلال رجل .. أو عن طريق رجل .. أو بوساطة رجل!
و .. هذه اول قاعدة ساهمت أم كلثوم فى كسرها ..

ان ما يبقى - أو يجب ان يبقى - من أم كلثوم هو هذا : ان
المرأة تستطيع هى أيضا أن تساهم بشكل رئيسى فى حياتنا العامة
.. وفى قضايانا العامة . ان أم كلثوم - كامرأة - لم تنتظر
الدعوة من أحد لكى تبدأ نشاطا وطنيا عاما بعد نكسة
يونيو ١٩٦٧ ، وقبلها نشاط مستمر . النقطة هنا هى أن المرأة
يمكن ، تستطيع ، بل تقوم فعلا - بتحويل السياسة الى عمل بسيط
يؤديه كل مواطن ، المرأة هنا تستطيع ان تشارك ، تدعو ، تفكر ،
تتقدم ، تبادر ، ثم تعطى المثل . لم تعد المرأة هنا تحتاج الى
أن تبرر نفسها مرتين : مرة كامرأة .. ومرة كمواطنة . لقد
سقط الحاجز الذى كانت المرأة تجلس خلفه .. كامرأة ..
وبسقوط هذا الحاجز بقيت الصفة الاساسية للمرأة : انها مواطنة
أولا .. ثم امرأة بعد ذلك ..

هذه نقطة ..

ولكن أم كلثوم فنانة مثلما هى امرأة .
هنا أيضا نستطيع أن نكتشف ماذا يبقى لنا منها كفنانة . لقد



ان وجهه ام كلثوم خال من الزوايا الحادة القاطمة • وجهه يفضل
ان يستمع اولاً في كل مناقشة •• قبل ان يبدأ الحديث •

اثبتت أم كلثوم من قبل أن المرأة لاتستطيع أن تكون مواطنا محايدا
فى القضايا العامة • انها هى أيضا يجب أن تتصدر الصفوف •
وما يبقى من أم كلثوم كفنانة هو أن الفنان أيضا لا يمكن أن
يكون محايدا • الفنان لابد أن يكون « مع » و « ضد » • الفنان
لا يستطيع أن يكون عديم اللون والطعم والرائحة • لابد للفنان
أن يكون له طابع ، لون ، موقف ••

فعندما جاءت أم كلثوم الى القاهرة كانت تستطيع بسهولة أن
تكون مجرد مطربة أخرى تردد الاغاني الخليعة السائدة • مجرد
مبتدئة تكرر ما نجح فيه غيرها • مجرد صدى • ولكنها اكتشفت
انه لابد للفنان أن يختار • لابد - لأن الفن هو أولا اختيار •
وحيثما يختار الفنان فانه يفعل ذلك دون أن يلوى ذراع
الجمهور • لا يستطيع • لا يمكن ••



عند هذه النقطة بالضبط سوف نجد أنفسنا وجها لوجه امام
الدور الحقيقي للفنان - لاي فنان - دور نسيء فهمه غالبا ، دور
يفرض علينا أن نفهم الفنان أولا •• حتى يفهمنا الفنان ••!



ان الفنان هو أولا متفرج • انه متفرج كاي شخص ، ولكنه
ليس كاي شخص ••!

الفنان متفرج من حيث أنه يعيش فوق نفس الارض التى نعيش
عليها جميعا • يتنفس نفس الهواء • يفعل بنفس الاحداث •
ولكن الفنان يأخذ تلك اللحظات التى هى بالنسبة لنا مجرد
لحظة ، زائد لحظة ، زائد لحظة أخرى •• ثم ينقلها اليها مرة
أخرى كسلسلة جديدة مترابطة من الزمن ، لها معنى جديد ••
وتفسير جديد ••

ان الشخص العادى يرى صورة الحياة مجزأة منظرا منظرا •
يرى الجزء الذى يهمه ، ولكن الفنان يرى - أو يحاول أن يرى -
الصورة كلها • فالشخص العادى يرى الشجرة •• والفنان
يرى الغابة ••

من هنا بالضبط يبدأ الفنان فى الانفصال عن الشخص العادى •
فالشخص العادى يعيش حياته بالاقدمية • مجرد تسجيل اقدمية
زمنية فى الحياة • ولكن الفنان ليس كذلك • انه ليس قطعة

اسفنج تمتص الالوان وتعيدها اليها دون تغيير . انه يعيدها اليها
الوانا جديدة . . بمعان جديدة . . ومضمون جديد . . فن . .

والفنان - عندما يكتمل - فانه يتعلم أن يفكر ويشعر ويرى
بشكل جديد ، طريقة خاصة . أسلوب مختلف . وهذا هو الأمر
الصعب دائما في أى شيء . .

ان الروائى الفرنسى الشهير فلوبيير كان يقول لكل واحد من
تلاميذه اذهب وسر خطوتين . . ثم اكتب لى ما رأيته فى مائة
سطر ! . .

هذا حقيقى . .

فالفنان لابد أن يرى ما لا يراه غيره ، يلاحظ ما لا يلاحظه
غيره . يتفرج كما لا يتفرج غيره .

★ ★ ★

وكل منا هو فى الواقع فنان بدرجة أو باخرى ، ان الغريزة
التي تدفعنا الى أن نطابق بين الوان جواربنا وأربطة عنقنا ،
وتدفعنا الى أن نضع أزرارا على ملابسنا . . هى نفسها الغريزة
البدائية التي تدفع الفنان فيما بعد الى البحث عن الجمال فى
كل شىء قبيح . كلنا اذن فنانون بشكل ما . . بالرغم من أننا
لانعرف ذلك غالبا . اكتشاف . تماما كالبطل فى إحدى مسرحيات
موليير . . عندما يشعر بسعادة بالغة لأنه اكتشف - فجأة - أنه
كان طوال حياته يتكلم : النثر ! . .

نحن اذن نحتاج الى النظرة الفنية فى حياتنا ، نحتاج الى
وجودالفنان . واذا لم نجده اخترعناه . فكل جيل يتولى اختراع
الفنانين العظماء الذى يقدم لهم تقديره واعجابه . .

★ ★ ★

ومن الاقوال الماثورة أن كل شعب يحصل على الحكومة التي
يستحقها . .

ولكن الاقرب الى الحقيقة أن كل جمهور يحصل على الفنانين
الذين يستحقهم ، لان كل جمهور يسعى دائما الى أن يتعرف على
حقيقته . والفن يقوم - فى جزء منه - بهذه المهمة . الفن - كما
قال الروائى الانجليزى د. هـ. لورنس : يخبرك بالحقيقة عن عصره
أو - كماقال كارل ماركس - الفن هو دائما الحركة الخالدة لعصره
أو - يقول الفنان الشهير بيكاسو - اننا جميعا نعرف أن الفن
ليس هو الحقيقة . أن الفن هو الاكذوبة التي تجعلنا ندرك الحقيقة . .

ان الصفة الاساسية للفن اذن هي انه يكتشف ويدرك لحسابنا
انه يعطينا الوجه الآخر - الوجه الخفى - لحياتنا .

★ ★ ★

والفنان حينما يقوم بهذه المهمة فانه يقوم بها لحسابنا جميعا .
لحساب جمهوره . فلتصدق انه يوجد فنان لايهتم بالجمهور .
كذب . الفنان لايمكن ان يستغنى لحظة عن الناس وعن الجمهور
.. الآن ، او بعد مائة سنة . بل ان الفنان الروائى تولستوى
- فى تعريفه للفن - يقول انه « .. نشاط انسانى يحاول فيه
واحد من الناس ان ينقل احساسات معينة عاشها هو .. لكى
يتأثر بها الآخرون ويعيشون هم ايضا ، .. »

ان جوهر هذا الرأى لتولستوى يتشابه مع نظرية اخرى فى
الشعر وثالثة فى القصة ، ورابعة فى الغناء . نظرية تصر على
ان الفنان هو « .. انسان يتحدث الى الناس » ..

لهذا السبب فان الفنان يجد نفسه دائما فى وضع واحد مع
السياسى والقديس . ان الثلاثة هم الذين يحكمون العالم - الآن
وفى أى وقت . الثلاثة عبيد لـ - وسادة على - المجتمع الذى
يعيشون فيه . الثلاثة يحتاجون دائما الى جمهور ، ولهم دائما
جمهور . ولكن من الصعب ان نقول ايهم يملك السلطة الاكبر
بالنسبة لجمهوره .

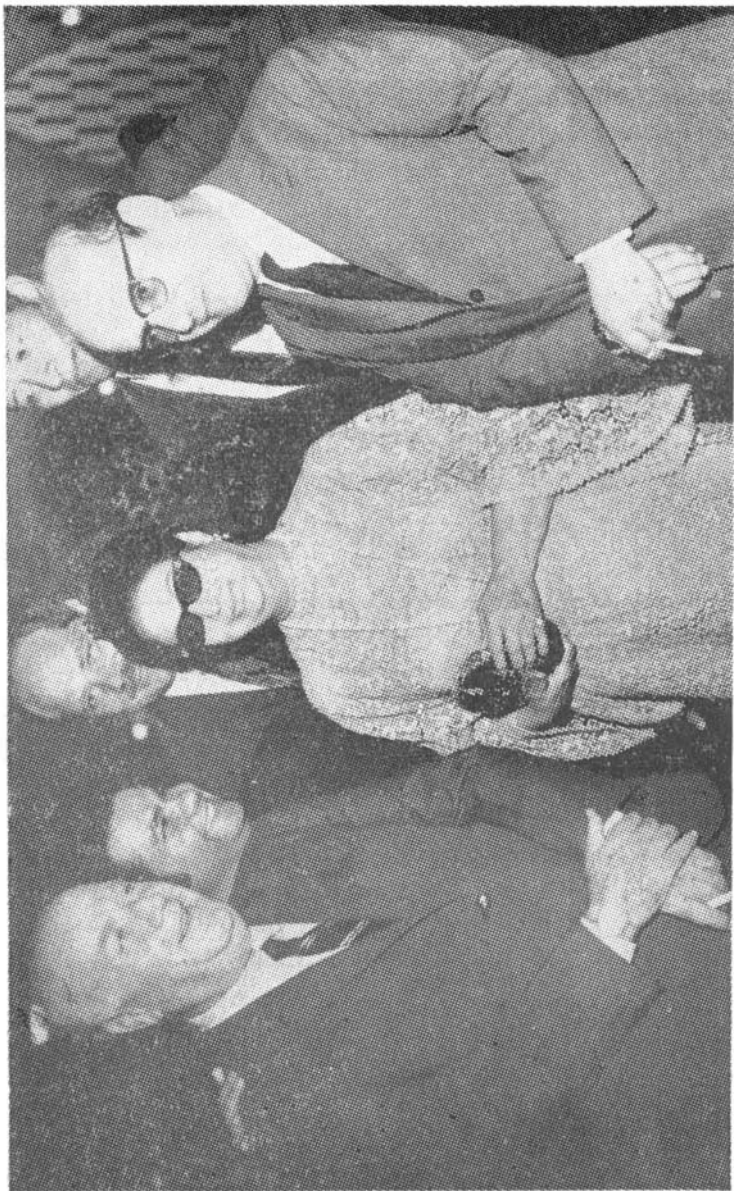
ان السياسى يملك السلطة ، والقديس يهدد بالجحيم ، والفنان
يفرى بالجمال ..

وبالنسبة للسياسى فان العالم ينقسم الى قسمين : اصدقاء ..
وأعداء . الذين معه .. والذين ضده .

وبالنسبة لرجل الدين ينقسم العالم الى قسمين آخرين :
مؤمنين .. وكفار . الذين يؤمنون .. والذين يكفرون .

أما الفنان - فمازال العالم ينقسم عنده أيضا الى قسمين :
الذين يحبون .. والذين لا يحبون . الذين يتذوقون الجمال ..
والذين لا يتذوقونه ..

انه اذن تقسيم مختلف . اهتمامات مختلفة . جمهور مختلف .
وأحيانا يكون الجمهور واحدا بالنسبة للثلاثة ، ولكن معنى
هذا الجمهور يختلف .



• أم كلثوم مع المصطفى اللبناني الكبير سعيد فريجة ، وشاعر الغنية (هله ليلتي) .. جورج جرداق .

- أحيانا تكون الايدى التى تصفق للجميع هى نفسها
- ولكنها عندما تصفق للسياسى فهى تقول : موافقون
- وعندما تصفق للتديس فهى تقول : مؤمنون
- وعندما تصفق للفنان فهى تصيح : اعطنا المزيد .. أعد ..
- ان الجمهور يقول ذلك للفنان بغير سلطة يخشاها أو جنة تغريه
- اختيار .. لان الفنان هو الوحيد الذى يعيش بعقله • يعيش على ذكائه ، وذكائه فقط • انه يلعب على المكشوف • ان أوراقه كلها يراها الجمهور ..

★ ★ ★

لهذا السبب نفسه فان الفنان يحتفظ بأذنه دائما قريبة من ايدى الجمهور • وكلما صفق له الجمهور أكثر .. احتاج هذا لتصفيق أكثر • المسألة كميّاه المحيط • كلما شربت منها أكثر .. عطشت أكثر • ان الفنان هنا كالبطل فى احدى روايات بلزاك ، حينما يجل على باريس ويصيح : لم يزل أمامى أن أمتلك هذه !

★ ★ ★

ولكن الفنان لا يحصل على اعجاب الجمهور بسهولة • واذا حصل عليه أصبح صعبا أن يحافظ عليه • المسألة هنا كطرفى مقص • كلما حصل الفنان على اعجاب من الجمهور .. شعر بخوف أكبر من فقدان هذا الجمهور • خوف من ألا يتلقى هذا الاعجاب مرة أخرى •

ان الذين يعرفون أم كلثوم عن قرب ، يعلمون أنها تعتبر ان كل أغنية جديدة تقدمها للجمهور هى أغنيّتها الاولى • هى لقاءها الاول مع الجمهور • انها تحس بخوف ، باضطراب ، بقلق ، بمسئولية ، انها تحس أن كل عمل جديد تقدمه هو استفتاء جديد لشعبيتها هذه المسئولية نحو الجمهور ، هذا القلق ، يشغل كل فنان أصيل بأكثر مما نتصور ، وكلما كبر الفنان زاد قلقه .. زادت مسئوليته .. ان أى شخص .. كلما ارتفع فوق السلم .. ازدادت خشيته من السقوط • لانه كلما كان مرتفعا .. كان السقوط مدويا ..

وسقوط الفنان يمكن أن يتم فى أى لحظة • لا يكفى أن تكون فنانا أمس ، ولا منذ خمس دقائق • يجب أن تكون فنانا الآن ، وفى كل لحظة • ان بيرجنت بطل مسرحية هنريك ابسن يصيح قائلا : أين ثلوج شتاء مضى !؟

والجمهور يفعل نفس الشيء : لقد ذابت بالنسبة له ثلوج شتاء
مضى • ذابت أمجاد يوم مضى • ماذا من جديد • هذا ما يهيم الآن •

ان هذا الخوف من - والحاجة الى - الجمهور - هو أبرز
ما يميز الفنان عن غيره في هذا العالم • ان الجمهور بالنسبة
للفنان هو المكافأة • وهو العقاب • هو البداية • والنهاية •
السعادة • والألم • القمة • والقاع •

هذا معناه ان الجمهور يملك دائما حق الفيتو بالنسبة لأعمال
الفنان • حقا يحمي أهل الفن دائما من أهل الهوى • ويميرهم
عن أهل الهوى •

فالفن يرفض التكرار • حتى ولو طلبه أهل الهوى •
والفن لا يقبل الوساطة • حتى ولو حاولها أهل النفوذ •
والفن لا يأخذ رشوة • حتى ولو دفعها أهل الفنى •
كل الفنون هكذا : أدب • موسيقى • رسم • شعر •
صحافة • وغناء •

انها علاقة مباشرة تجعل الفنان دائما أصدق ممثل للجمهور •
فالفنان الصابق دائما هو الذى يتقمص الصفات البارزة لشعبه •

من الذى يفوق فى أمريكته مثلا سينسر تراسى أو هنرى فوندا
أو هنرى ميللر • من الذى يفوق فى ايطاليته البرتو مورافيا أو أنا
مانيانى ؟ من الذى يفوق فى فرنسيته جان بول سارتر أو بريجيت
باردو ؟ من الذى يفوق فى مصريته طه حسين أو العقاد أو أم كلثوم ؟

كلهم يحملون فى أعمالهم بصمات شعوبهم واضحة • صفات
مجتمعهم كاملة • اتفق أو اختلف مع هذه الصفات كما تشاء •
ولكنهم فى النهاية رمز وتلخيص لها •

★ ★ ★

والفنان - بجانب مهمته كمتفرج على الحياة - هو أيضا مفسر
لهذه الحياة • انه مؤرخ للماضى • ومكتشف للمستقبل فى وقت
واحد • صعوبة جديدة تضاف الى الصعوبات السابقة فى عمل
الفنان •

فالفنان عندما يكون كاتباً • فانه يصبح كالطبيب : لا تهمه
حالات اكتمال الصحة ، ولكن تثيره حالات تقشى المرض •

وعندما يكون أدبيا .. يصبح كالفلكي : يبدأ بما يراه الجميع
.. لكى يصل الى ما لا يراه الجميع .

وعندما يكون موسيقيا أو ممثلا أو مغنيا .. يصبح كالشمعة :
لا بد أن تحترق .. لكى تنير للآخرين . لا بد أن يتألم الفنان ..
لكى يسعد الآخرين .

فالشمعة فى يد الفنان تحترق من طرفيها ، لا بد للفنان أن
يتعذب ، يقاسى ، يتألم ، أحيانا يستشهد ، لكى يقدم للآخرين
شعاعا من النور يهديهم الى الطريق .

وكثيرا ما لا يرى الناس أثرا لهذا العذاب فى عمل الفنان .
تماما مثلما نلاحظ فى حياتنا العادية أن كثيرا من الأشياء التى
ناكلها قد طبخت على موقد بوتاجاز .. ولكننا لا نعثر فى الطعام
على مذاق البوتاجز .

لهذا السبب كان الموسيقار الالماني الشهير بيتهوفن يقول دائما :
انى أصبر وأفكر وأتألم .. فكل ألم يجلب معه بعض الخير !

ان هذا الأمل - الأمل فى بعض الخير بعد كل العذاب - هو
العزاء الأخير لأى فنان عن ألمه ، مثلما نجد أن نجاح انطلاق
الصاروخ فى دقيقة هو العزاء الأخير لسنوات من الجهد الذى بذله
المهندسون وللعلماء فى تركيب هذا الصاروخ .

ان الخوف من الجمهور يسبب أقصى الألم ، ولكن مكافأة
الجمهور تسبب أقصى سعادة . شعور عبير عنه حكيم الصين
القديمة كونفوشيوس بقوله : « لا يهمنى من يضع للناس شرائعهم
مادمت أنا الذى أصنع لهم أغانيهم » .

لأن الفن فى النهاية تعبير الانسان عن سعادته .

★ ★ ★

و .. أم كلثوم هى أولا امرأة ، وثانيا فنانة ، وثالثا فنانة
تسعد الناس .

وبالمنطق ..

ليس من حقنا أن نستهلك السعادة دون أن ننتجها . كلمات
نظرية . لاننا نرى غير ذلك فى حياتنا . نستهلك الثروة دون
أن ننتجها . نستهلك الجمال دون أن نخلقه . و . نستمتع الى
أم كلثوم ، دون أن ننتج أم كلثوم أخرى . ولسوف يظل الامر

هكذا الى ان نفهم اولاً طبيعة الفنان كشخص متميز . نفهم ثانياً ماذا يتبقى لنا من الفنان من أم كلثوم فى حالتنا هذه .

ان أم كلثوم فنانة تغنى . قمة فى فنها . مستمرة فى قمتها . ان استمرارها هذا نجاح فى حد ذاته . فمع صدام الاجيال المستمر الذى تشهده الانسانية . لا يوجد جيل يتقبل أحكام وأنواق الجيل السابق عليه بغير مراجعة أحياناً وبالرفض غالباً . ان هذا لم يحدث مع أم كلثوم . استثناء خاص .

ان هذا الاستثناء لم يكن مجاملة شخصية لأم كلثوم . فالفن لا يقبل المجاملات . وإنما هو نتيجة لصفات استثنائية تميزت بها أم كلثوم . صفات حاول هذا الكتاب تسجيل عناوينها الا صفة أخيرة . . هي حياة أم كلثوم نفسها .

فنحن - فى الادب مثلاً - نرى أن هناك نوعين من الفنانين . نحن نرى فنانين تطغى أعمالهم الفنية على حياتهم . شيكسبير مثلاً . نحن لا نعرف من هو شيكسبير . . أو من كان هومر . لقد اختفى الفنان هنا داخل عمله ، وتراجعت حياته وشخصيته الى الخلف تماماً . .

وفى مقابل ذلك نجد فنانين طغت حياتهم على أعمالهم الفنية . جان جاك روسو مثلاً . ان اعترافاته التى سجل فيها حياته أصبحت أهم عمل فنى له . لقد أصبحت حياته نفسها عملاً فنياً تراجعت الى جانبه كل الاعمال الاخرى .

★ ★ ★

وبالنسبة لأم كلثوم فأننى أرى أنها تنتمى الى النوع الاول فى المدى القصير ، وتنتمى الى النوع الثانى فى المدى الطويل . ان السنوات القادمة سوف تؤكد ذلك .

تؤكد أن حياة أم كلثوم هي نفسها العمل الفنى الاكبر الذى تركته لنا . . .

و

كم الساعة الآن - لو سمحت !؟

محمود عوض

كتب للمؤلف :

- أم كلثوم التي لا يعرفها أحد
(طبعة ثالثة)
- مصرى بمليون دولار
(طبعة ثانية)
- محمد عبد الوهاب
(تحت الطبع)
- أيام سقطت من «الايام»
(تحت الطبع)

القادم

كتاب اليوم



حياة
قلوب

يقام

احمد الصاوي محمد

يصدر في
أول مارس



طبعًا ...



أقوى
وأسرع
ممكن
للإلام



شركة الإسكندرية للإدوية والصناعات الكيماوية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية





بنك القاهرة

استقرار الحاضر وطمأنينة المستقبل
يحققهما لك ولاسرناك

جوائز اليانصيب

يشرفه البنك على عمليات
اليانصيب وتصرف
الربح
من جميع قرعه

الحساب الشخصي

بدون مصاريف
فائدة ٥ و ٣٪ سنويًا
الادخار والسحب مؤتملاً من كافة
فروع البنك
بخدمه أيضا سافرت

خزائن حديدية

بايجار زهيد
لحفظ كل ما تحشى عليه
من السرقه أو التلف أو
الضياع من مستندات ومقتنيات



ضد التوفير

فائدة
٥ و ٣٪ سنويًا

الادارة العامة : ٢٢ شارع عدنى - القاهرة

صدر من كتاب اليوم

خواطر واحاديث	احمد حسن الباقوري
فنان في باريس	فتوح نشاطي
بلاد الله ٠٠ خلق الله (طبعة ثالثة)	انيس منصور
النساء لهن أسنان بيضاء	احسان عبد القدوس
ايام لها تاريخ	احمد بهاء الدين
الفساضبون	كامل زهري
مصرى في فيتنام والصين وكوريا	احمد حمروش
صور مقلوبة	احمد رجب
القمر في انتظارنا	مجدى نصيف
ام كلثوم التي لا يعرفها احد	محمود عوض
رجل من طين	سعد مكاوي
حقيبة في يد مسافر	يحيى حقي
ليلة نام فيها الشيطان	محمد التابعي
القرآن في شهر القرآن	د عبد الحليم محمود
الكاس الاخرة	ابراهيم المصري
لست مسيحا اغفر الخطايا (طبعة ثانية)	محمد زكي عبد القادر
يحدث في الليل فقط	امين يوسف غراب
طويل يا زمن	عبد المنعم الصاوي
شخصيات عربية معاصرة	ابراهيم البعشي
شيعيون في كل مكان	موسى صبري
حين يميل الميزان	ثروت اباظة
سالة النجوم	محمد التابعي
قلت ذات يوم	توفيق الحكيم
الشيطان لعبته المرأة والمرأة لعبتها الرجل	احمد الصاوي محمد
الجديد في مرض السكر	جمال الدين غوردون
مشهورون مشنيون	فتحي رضوان
اسلاميات	خالد محمد خالد
العالم من لقب الباب	كامل زهري
تولة تولة	احمد رجب
موعدنا بعد غد	عبد المنعم الصاوي



هذا الكتاب

- نفدت عشرات الآلاف التي طبعت منه ••
- نفدت الطبعة الأولى •• ونفدت الطبعة الثانية خلال ساعات من صدورهما ••
- وهذا أمر طبيعي ••
- قالملايين التي تعشق أم كلثوم في مصر والعالم العربي •• اكتشفت فجأة أنها لا تعرف عن أم كلثوم أكثر من ١٥٪ مما يجب أن تعرفه ••
- وجاء هذا الكتاب ليقدم فيه الكاتب الصحفي الشاب محمود عوض الـ ٨٥٪ الباقية ••
- انها صفحات من مذكرات أم كلثوم •• وعنها ••
- صفحات نقدمها في هذا الكتاب : أحسن كتاب ، عن أحلى صوت ، بأرشق أسلوب ••

١٥ قرناً